نماذج من

الكفاح الجزائرى القديم
ضد الهيمنة الرومانية

أ٠د٠ محمد السيد محمد عبد الغنى
أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٩٩٩
المكتب الجامعى الحديث
شارع دينوقراط ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية

شكر وتقدير

إلى أستاذى الكبير

الأستاذ الدكتور / مصطفى العبادى

إن هذا الأستاذ الفاضل هو الذى أوحى إلىّ منذ ما يزيد على ربع قرن – وأنا طالب فى مرحلة الليسانس — بفكرة هذا الكتاب . فعندما كان يدرس لنا تاريخ الرومان أثار انتباهى واهتمامى لشخصية " يوجورثا " ملك نوميديا الذى تحدى الرومان وكان نداً لهم .

لازلت حتى اليوم أتمثل هذا الأستاذ الجليل وهو يصوّر موقف " يوجورثا " وقد خرج من روما عائداً إلى مملكته فى نوميديا على متن سفينة بعد أن أجرى مفاوضات وقدم رشاوى لكبار الساسة الرومان وتخلص من أحد أبناء عمومته الذى كان له حق فى وراثة العرش بأغتياله فى روما . ثم وهو يصوّر يوجورثا بعد كل ذلك يقول وهو على متن السفينة عبارته الشهيرة :

" هناك مدينة (يقصد روما) معروضة للبيع ومقدر لها الدمار السريع لو أن هناك مشترى "

ولا زال منطبعاً فى ذهنى ضغطه على مخارج الألفاظ وطريقته الرائعة فى التوصيل ! ياله من أستاذ قدير !

إهـــداء

إلى الشعب الجزائرى الشقيق

رمز إعجاب وتقدير

منذ طفولتى المبكرة فى أوائل الستينيات هزتنى وأدهشتنى قـوة وصـلابـة وكبريـاء الجزائرييـن وهـم يقـاومون المحتـل الفرنسـى ويخرجونه مدحوراً من بلادهم وكيـف قدمـوا مـن أجـل ذلـك الغـالى والنفيس من دمـائهم وأرواحهـم ٠ مـن وقتهـا وأنـا أتـابع ــ بإعجـاب وتقدير ــ ذلك الشعب الأبى المناضل ومسيرته الوطنيه من أجل حيـاة حرة كريمة ٠

إن أروع ما فى الجزائريين هو صـلابتهـم وقوتهـم واعـتزازهم بوطنهم ، ولذلك أقدم لهم التحية والتقدير ٠٠ لبلد المليون شهيد ٠



مقدمة المؤلف

بعد أن أخضعت روما كل شبه الجزيرة الايطالية لسلطانها قبل منتصف القرن الثالث ق٠م شرعت بعد ذلك فى محاولة تحطيم أكبر منافس لها فى غرب البحر المتوسط وهى دولة قرطاجة زعيمة المدن والمستوطنات الفينيقية فى شمال أفريقيا وجنوب غرب أوروبا٠

وقد حققت روما هذا الغرض بعد صراع مرير مع قرطاجة فى حربين هما الحرب البونية الأولى (٢٦٤ ــ ٢٤١ ق٠م٠) والثانية (٢١٨ ـ ٢٠٢ ق٠م٠) اللتين خرجت منهما منتصرة وفرضت نفوذها بقوة فى غرب المتوسط ، وظلت تخضع مناطق شرق المتوسط طيلة القرن الثانى ق٠م٠

وفى إطار إخضاع قرطاجة بعد الانتصار النهائى عليها عام ٢٠٢ ق٠م٠ فى موقعة " زاما " وإلزامها بشروط صلح مهينة كافأت روما من ساندها فى تلك الحرب ضد قرطاجة ٠ وكان من أبرز من كافأتهم ماسينيسا ذلك الأمير النوميدى الذى تحالف مع روما خلال الحرب البونية الثانية رغم أن ملك نوميديا * فى ذلك الحين (وكان اسمه سيفاكس) كان منحازاً لقرطاجة ولكن ماسينيسا تغلب عليه ٢٠٣ ق٠م٠

منذ ذلك الحين نشأت علاقات طيبة بين ماسينيسا ــ الذى كافأته روما بجعله الملك الشرعى لنوميديا ـ ثم ذريته من ملوك نوميديا وبين

* نوميديا القديمة هى النصف الشمالى من جمهورية الجزائر الحالية تقريباً ٠

الدولة الرومانية القوية طيلة القرن الثانى ق٠م٠ وصارت هذه المملكة وملوكها شبه تابعين لروما يدينون لها بالولاء والاخلاص ويقدمون لها كتائب من القوات المساعدة تحارب إلى جانب الفرق الرومانية ، ويعامل الرومان ملوك نوميديا " كحلفاء وأصدقاء " (وهو لقب تكريمى كانت روما تمنحه للملوك والحكام المخلصين والتابعين لها) ٠

ولكن هذا الحال فى نوميديا (الجزائر القديمة) بدأ يتغير ويتبدل منذ أن اعتلى عرش تلك المملكة ملك وطنى أراد أن يجعل من نوميديا مملكة كاملة السيادة تمتلك قرارها ومصيرها ، هذا الملك هو " يوجورثا " الذى حكم نوميديا من ١١٨ إلى ١٠٥ ق٠م٠ (من ١١٨ حتى ١١٣ بمشاركة ولدى عمه أدهربال وهيمبسال الذين تخلص منهما فى عامى ١١٥ ثم ١١٣ وحكم بقية الفترة بمفرده) ٠

هذا الملك الوطنى تعرض فى المصادر الرومانية لحملة من التشويه لصورته والتشكيك فى نواياه وإخلاصه وتم تصويره على أنه شخصية شريرة مخادعة فاسدة أحرزت بعض المكاسب على حساب الرومان بالرشوة والخديعة ٠ ولكن الدراسة الحالية تتناول هذه الشخصية ــ ومن خلال أهم مصدر رومانى تناولها وهو المؤرخ ساللوستيوس ــ بموضوعية وحيدة كاملة من خلال ذكر الحقائق والوقائع التى أوردها المؤرخ مع تنحية آرائه وأحكامه العاطفية جانباً ٠ إن هذه الدراسة الموضوعية ترد الاعتبار لتلك الشخصية الوطنية " يوجورثا " وتبرز الكثير من جوانبها المشرقة ، وتبين تناقض وانحياز المؤرخ الرومانى ٠

أما عن النموذج الثانى من نماذج الكفاح الجزائرى القديم فقد أردت إلقاء الضوء على ثائر لا يعرف عنه الكثيرون ـ حتى من دارسى التاريخ ـ شيئاً : إنه الثائر النوميدى تاكفاريناس الذى تصدى للمحتلين الرومان قرابة ثمان سنوات (١٧ ـ ٢٤ م٠) فى فترة حكم تيبريوس ثانى أباطرة الرومان (١٤ ـ ٣٧ م٠) ٠

لقد أبلى تاكفاريناس بلاءً حسناً فى حروب عصابات مريرة أزعجت وأربكت عدداً من القادة والولاة الرومان فى أفريقيا وأزعجت الامبراطور تيبريوس شخصياً قبل أن يلقى تاكفاريناس مصرعه ـــ بالغدر والخديعة ـ عام ٢٤ م ٠

الفصل الأول

يوجورثا



يوجورثا

أن أى دارس لتـاريخ الجمهوريـة الرومانيـة يعـرف شـخصية يوجورثا ملك نوميديا (الجزائـر حاليـاً) فـى الجـزء الأخـير مـن القـرن الثانى ق٠م٠ وسبب تميز هذه الشخصية وبروزها ـ على هامش أحـداث التاريخ الرومانى فى تلك الفترة ـ أنها ارتبطت فى أذهاننا بظاهرة الفساد والرشوة التى انتشرت حينذاك على أعلى مستوى بين شـاغلى المنـاصب العليا والدنيا من الرومان بعد توسع الدولـة الرومانيـة فـى أرجـاء البحـر المتوسط ٠ لقد صُوِّر لنا يوجورثا فى كتب ومراجـع التـاريخ الرومـانى على أنه شيطان رجيم انتزع عرشاً لم يكن من حقه بطرق غادرة وغـير مشروعة وقتل أبناء عمومته تحقيقاً لذلك وأغرق الموظفين الرومـان فـى مستنقع الفساد لكى يغضوا الطرف عـن أعمالـه المشـينة ٠! هكذا تكـون الصورة عندما يكتب الطرف المنتصر التاريخ (الرواية الرومانيـة) ولا يصلنا صوت الطرف الآخر المنهزم ، فتنطبع فى أذهاننا صـورة أحاديـة الأجانب ، وتصبح بفعل التكرار والإلحاح عليها أقرب إلـى البديهيـات ٠ لكن إلى أى مدى كانت هذه الراوية الرومانية عن يوجورثـا صحيحـة ؟ وهل صحيـح أنـه لـم يقهـر عدة جيوش رومانيـة ولـم يحبـط كثـيراً مـن مخططات الرومان فى هذه المنطقة إلا بـالغدر والرشـوة دون سـواهما ؟ وهل صحيح أن ماريوس ـ الذى كان انتصاره على يوجورثـا هـو نقطـة

انطلاقه لزعامة الدولة الرومانية ـ قد هزم يوجورثا وأسره لأن الأول تمتع بالنزاهة والتجرد والكفاءة العسكرية العالية فقط ؟

هذه هى مجمل القضايا التى يناقشها هذا البحث ٠ إن الهدف من هذا البحث ـ بعد قراءة متأنية للمصدر الرومانى الذى تناول هذه الواقعة بالتفصيل وهو المؤرخ الرومانى ساللوستيوس من القرن الأول ق٠م٠ ـ هو إعادة فتح هذا الملف ومراجعة هذه المقولات الرومانية التى تتسم ـ فى تقديرى المتواضع ـ بقدر كبير من التحيز والمبالغة ٠ إن البحث محاولة متواضعة لإعادة الاعتبار إلى شخصية يوجورثا من خلال المصدر الرومانى ذاته (!) الذى استقى منه الباحثون فى التاريخ الرومانى معلوماتهم وصاغوها بصورة انتقائية مُهمِّشة ليوجورثا ومنحازة للطرف الرومانى المنتصر ٠

ولنتناول الآن نقاط هذا البحث بصورة أكثر عمقاً وتفصيلاً حتى نصل إلى مفهوم أكثر واقعية عن هذا الصراع بين الدولة الرومانية ويوجورثا ملك نوميديا ٠

ماذا عن شخصية يوجورثا وظروف نشأته ؟

من المعلوم أنه مع نهاية القرن الثالث ق٠م٠ حوالى عام ٢٠٢ تمكنت روما من أن تكسب الحرب البونية الثانية بينها وبين قرطاجة وأن تحطم فى موقعة زاما أسطورة البطل والقائد القرطاجى الفذ هانيبعل الذى أذاق روما الأمرّين وهزمها هزائم مدوية خلال خمسة عشر عاماً

(٢١٨ــ ٢٠٣ ق٠م٠) ٠ كان من بين حلفاء روما فى هذا الموقف العصيب قائد نوميدى هو ماسينيسا جد يوجورثا الذى كان فى صف سكبيو الإفريقى (القائد الرومانى الكبير وبطل موقعة زاما) ٠ وقد كافأه الرومان على وقفته تلك بمساعدته فى اعتلاء عرش نوميديا بعد هزيمة هانيبعل والإطاحة بالملك النوميدى الذى كان يؤازره وهو سيفاكس ٠ وهكذا ظل ماسنيسا ملكاً على نوميديا من نهاية الحرب البونية الثانية عام ٢٠٢ ق٠م٠ وحتى وفاته عام ١٤٩ ق٠م (أى قبل تدمير قرطاجة نهائياً على يد الرومان وتحويلها إلى ولاية أفريقيا الرومانية عام ١٤٦ ق٠م٠ بثلاث سنوات) ٠ وطيلة حكم ماسينيسا فى نوميديا كان حليفاً وصديقاً للشعب الرومانى وكان يشن الهجمات على قرطاجة المنهزمة من روما والمكبلة بشروط معاهدة مهينة ويعتدى عليها بين حين وآخر ــ بإيعاز من روما ــ حتى لا تقوى شوكتها فتعود لتشكل خطراً على روما من جديد ٠ وبعد وفاة ماسينيسا تولى العرش من بعده ابنه الوحيد المتبقى على قيد الحياة ميكبسا (إذ كان له ولدان آخران هما ماستنبال " أبو يوجورثا " وجولوسا توفيا فى سن مبكرة) ٠ وظل ميكبسا يحكم نوميديا فى الفترة من ١٤٩ إلى ١١٨ ق٠م٠ حين توفى، وكان يسير على نهج أبيه ماسينيسا فى علاقته بالرومان إذ استمر (حليفاً وصديقاً) لهم ، وهى عبارة توحى بقدر كبير من التبعية للدولة الرومانية لأن التحالف والصداقة الحقة تكون فى أغلب الأحوال بين أنداد٠

في خلال فترة حكم ميكبسا في نوميديا كان يوجورثا (ابن أخيه ماستنبال من إحدى المحظيات) قد شب عن الطوق وبلغ الشباب سن فرباه ونشّأه في القصر الملكي مع ولديه الأصغر سناً أدهربال وهيمبسال، وتبناه قبل وفاته وأوصى به شريكاً في الحكم مع ولديه ليحكم المملكة من بعده ثلاثة ملوك هم ولداه وابن أخيه [١] .

ويتحدث المؤرخ ساللوستيوس عن هذا الأمير الشاب يوجورثا فيذكر أنه كان يتمتع ببنيان قوي ووسامة في الخلقة " لكنه تمتع فوق كل ذلك بعقلية فذة ، ولم يستسلم لإفساد الترف أو الاسترخاء بل أنه ـ جريا على عادة قومه ـ كان يركب الخيل ويرمي الرمح ويتنافس مع أقرانه في سباقات الجري ، ورغم أنه كان يتفوق عليهم جميعاً فقد كان محبوباً من الجميع . كما كرّس جل وقته للصيد والقنص وكان أول أو من أوائل من صرع ليثا أو غيره من الضواري . لقد أنجز الكثير والكثير لكنه نادراً ما كان يتحدث عن نفسه " . ويذكر المؤرخ أن الملك ميكبسا قد أنزعج من بطولات ابن أخيه وخشي من طموحه نحو الانفراد بالعرش على حساب ولديه الصغيرين " كما لاحظ الحب والإخلاص الذي غرسه يوجورثا في نفوس النوميديين ، لذا كان يخشى من اندلاع شغب أو حرب من جانبهم إذا ما أقدم على اغتياله بالحيلة والغدر " [٢] .

وحين بلغ الانزعاج من قوة يوجورثا مبلغه في نفس الملك ورغب في التخلص منه بطريقة ذكية كان ذلك التصرف في مصلحة يوجورثا وأكسبه خبرة قتالية كبيرة وكان مجالاً لإظهار قدراته العالية المذكورة

أعلاه أمام الرومان مما جعله يحظى بصداقتهم وتقديرهم ورفع أسهمه وزاد من شعبيته ـ المرتفعة أصلاً ـ فى نوميديا • ذلك أن عمه ميكبسا ـ فى محاولته للتخلص من يوجورثا ـ بعث به على رأس قوة نوميدية لمعاونة حلفائه الرومان فى قمع ثورة مدينة " نومانتيا " الأسبانية عام ١٣٤ ق•م• وكان يأمل فى أن يسقط يوجورثا ضحية سهلة لرغبته فى استعراض قوته أو لعدو شديد البطش " • sperans vel ostentando virtutem vel hostium saevitia facile eum occasurum • لكن الأمور جرت على عكس توقعات ميكبسا تماماً ونال يوجورثا سمعة ممتازة من خلال بطولاته والتزامه بالواجب فأصبح صديقاً حميماً للرومان ومصدر رعب للنومانتيين • لقد حقق فى الحقيقة معادلة صعبة المنال إلى أبعد حد إذ كان باسلاً فى المعارك وحكيماً فى إسداء النصح فى آن واحد ، رغم أن إحدى الصفتين وهى الحكمة تؤدى إلى التخوف والأخرى وهى الشجاعة تقود فى أغلب الأحيان إلى التهور " [٣] •

هكذا كانت شخصية يوجورثا الحقيقية ـ باعتراف أعدائه ـ تجمع بين الشجاعة غير المتهورة والحكمة غير الهيابة والكياسة التى يأسر بها قلوب من يتعامل معه من رومان أو غيرهم ، كما تمتع رغم كل ذلك بالتواضع الجم الذى اجتذب إليه قلوب مواطنيه من النوميديين مما جعل عمه ميكبسا يخشى من أن يغدر به مخافة تمرد وثورة شعبه كما أسلفنا•

أمام أمير يتمتع بكل هذه الصفات التى قلما تجتمع فى شخص واحد صار لزاماً على عمه الملك ميكبسا أن يتبناه ويجعله ضمن ورثته

على العرش – رغم كرهه لذلك – لاسيما بعد أن أوصى القائد الرومانى الشهير سكبيو أيميليانوس – قائد حملة " نومانتيا " الذى دمر المدينة المتمردة – الملك ميكبسا خيراً بيوجورثا وأشاد به إشادة حارة وهنأ الملك ميكبسا على إنجازات هذا الشاب الرائع الذى تعتز به روما [٤] .

والآن كيف صورت روما يوجورثا بعد أن انقلبت عليه وتصادمت مصالح الطرفين ؟

حين وصل يوجورثا إلى عرش مملكة نوميديا بعد وفاة عمه الملك ميكبسا عام ١١٨ ق٠م٠ – بالمشاركة مع ولدى عمه أدهربال وهيمبسال – ثم تخلصه تدريجيا من شريكيه فى الحكم – لاعتبارات سنفصلها فيما بعد – شكل ذلك تعارضاً مع مصالح روما فى نوميديا وزعمها الحفاظ على الشرعية فى تلك المملكة ٠وهنا بدأ تصوير يوجورثا يتخذ شكلاً مغايراً للصورة التى رسمها له الرومان أعلاه ، وانعكس ذلك فى سياسات وتصرفات الرومان تجاهه وفى كتاباتهم عنه بعد انتهاء الأمر برمته ٠

لقد صوروه على أنه ذلك الطامع فى الاستئثار بعرش المملكة وحده الذى سعى بكل السبل – لا سيما الغدر والخديعة – إلى التخلص من أبناء عمه شركائه فى الحكم وأنه بذلك كشف عن جحوده ونكرانه لجميل عمه الذى تبناه وأشركه فى الحكم [٥] ٠ كما صوروا أن روما حاولت أن تحمى شرعية الحكم فى المملكة وترد يوجورثا عن مخططاته

للاستئثار بحكم نوميديا ـ خصوصاً بعد أن اغتال ابن عمه الأصغر هيمبسال ـ إلا أنه استطاع بمراوغته ودبلوماسيته وسلاح الرشوة الفتاك ـ قبل هذا وذلك ـ التأثير فى نفوس فئة غير قليلة من كبار شاغلى المناصب فى روما لمساعدته على المضى فى تنفيذ مخططه فى أن يصبح السيد الأوحد لنوميديا كلها بالصمت عن أفعاله حيناً ومؤازرة مواقفه وتبريرها فى السناتو حيناً آخر ٠

لقد بالغ ساللوستيوس فى التركيز على سلاح الرشوة الذى أشهره يوجورثا فى وجه روما وصوره كما لو كان سلاحه الوحيد فى كسب معاركه الدبلوماسية والعسكرية ٠ ولكن ساللوستيوس لا يُنحى باللائمة فى هذا الموقف على يوجورثا بمفرده بل على ظروف المجتمع الرومانى فى أواخر القرن الثانى ق٠م٠ ـ بعد تدمير قرطاجة ومصرع الأخوين جراكوس المدافعين عن حقوق العامة فى روما ـ الذى انتشرت فيه وجوه فساد عديدة من طمع وجشع وصلف ورشوة وظلم وسوء استغلال للسلطات ٠ هذا الوضع كان نتيجة لحالة السلم التى سادت المجتمع الرومانى بعد أخضاع معظم أعداء روما فى حوض البحر المتوسط وما ترتب على ذلك من وفرة ورخاء لبعض فئات المجتمع الرومانى من النبلاء واحتدام الصراع الحزبى بين النبلاء والعامة (٦) ٠

يذكر ساللوستيوس أنه فى أثناء هذه الظروف وبينما كان يوجورثا يحارب بقواته النوميدية إلى جانب الرومان فى نومانتيا كان هناك من بين النبلاء الرومان من يهتمون بالثروة أكثر من الفضيلة واحترام الذات

وبالشهرة الزائفة أكثر من الأمانة ٠ إن هذه الفئـة هى التى أشعلت فى نفس يوجورثا ـ حسب قول المؤرخ ـ نوازع الطموح والطمع فى عرش نوميديا وألقت فى روعه أن " كل شئ فى روما قابل للبيع " ٠ ويذكر أن قائد الحملة سكبيو أيميليانوس ـ بعد أن أثنى على شجاعة يوجورثا ـ نصحه بأن يحرص على كسب ود الشعب الرومانى كله بدلاً من كسب ود بعض الأشخاص و " ألا يعتاد على تقديم الرشوة لأنه من الخطر أن تشترى من فئة قليلة ما هو حق للغالبية " [٧] ٠ هذه النصيحة الأخيرة التى يذكر ساللوستيوس أن سكبيو أسداها إلى يوجورثا فى شبابه ربما كانت مفبركة ومقحمة لتخدم سياق الموضوع وتعطى الانطباع بأن هذه النزعة كانت كامنة فى نفس يوجورثا منذ فترة طويلة ومنذ تعاملاته الأولى مع الرومان، وأن القائد الرومانى ربما فطن إلى هذه النزعة فى يوجورثا أو استشعرها وحذره من مغبتها بالقول " إذا ما استمر يوجورثا على نفس الدرب كما بدأ فإن الشهرة والعرش سوف يأتيانه سعياً ، أما إن تعجل فسوف يلقى بنفسه فى الهاوية بماله " ٠ يريد المؤرخ أن يُثَبِّت فى يقيننا أن هذه النبوءة لسكبيو قد صدقت وتحققت من جراء جشع يوجورثا وتهوره وعدم أخذه بنصيحة القائد الرومانى المخلص له ! قمة فى الدعاية الرومانية بغير شك تصور الرومان وهم يسدون الحكمة للآخرين فإن لم تُجدِ لقنوا هؤلاء المتهورين درساً قاسياً بالقوة والبأس ٠

وبعد هذه المقدمة الموحية عن بدايات نزعة الرشوة والإفساد عند يوجورثا يعدد المؤرخ المناسبات العديدة التى تجلت فيها هيمنة هذه

النزعة عليه خصوصاً بعد وصوله إلى العرش ثم تخلصه من شركائه فى الحكم وهما ابنى عمه ميكبسا ٠ فحين تخلص يوجورثا من ابن عمه الأصغر هيمبسال باغتياله من خلال مؤامرة مدبرة سيطر الرعب على الأخ الأكبر أدهربال الذى هزم فى معركة أمام يوجورثا وفر إلى ولاية أفريقيا ومنها إلى روما واستعطف السناتو التدخل لنجدته ٠ فى هذا الظرف أرسل يوجورثا مبعوثيه إلى روما لتفادى غضبها وقام هؤلاء برشوة كل من استطاعوا رشوته " فأرسل مبعوثيه الى روما بمقدار كبير من الذهب والفضة وأصدر إليهم توجيهاته بأن يُحمّلوا أصدقاءه القدامى أولاً بالهدايا ثم يكتسبون أصدقاء جدد ـــ أى باختصار ألا يتباطؤا فى كسب ما استطاعوا بالسخاء والهبات " [٨] ٠ ويذكر أن هؤلاء المبعوثين دافعوا أمام السناتو عن وجهة نظر يوجورثا وردوا الاتهامات الموجهة إليه لكن دفاعهم ـــ حسب تدخل المؤرخ ـــ " كان يعتمد ويستند إلى الرشوة أكثر مما يستند إلى عدالة قضيتهم largitione magis quam causa freti (XV.1) ٠ وكانت نتيجة مداولات السناتو بعد مرافعات أدهربال من ناحية ومبعوثى يوجورثا من ناحية أخرى أن اتخذ قرار من السناتو بتقسيم مملكة ميكبسا (نوميديا) بين يوجورثا وأدهربال ٠ هذا القرار فى تقدير سالوستيوس هو انتصار لرأى الأغلبية المؤيدة ليوجورثا فى السناتو والذين وصفهم بأنهم يعلون من قيمة المال والحظوة على حساب الحق[٩]، ثم يذكر كيف استقبل يوجورثا أعضاء بعثة السناتو المكلفة بتنفيذ تقسيم المملكة استقبالاً حافلاً واستقطب معظمهم

بالرشاوى والهدايا والوعود ، وكانت النتيجة مجاملته ومنحه الجزء الغربى من المملكة الأكثر خصوبة وسكاناً (١٠) .

وفى الفترة التالية لتقسيم المملكة بين الرجلين خطط يوجورثا للاستيلاء على المملكة بأكملها لكى يصبح هو السيد الأوحد ، ونفذ ذلك عن طريق التحرشات والإغارات الاستفزازية على أملاك أدهربال فى شرق المملكة لكى يخلق لنفسه ذريعة لشن الحرب عليه ، ثم انتقل الى المواجهة والهجمات الصريحة وحصار مدينة " كيرتا " التى اعتصم بها خصمه وحاصرها وأسقطها وقتل أدهربال رغم احتجاجات وإنذارات روما على مدى عام ١١٢/١١٣ ق.م. (١١) . هذا الموقف أثار ثائرة الغضب الشعبى الرومانى لا سيما بعد مقتل عدد كبير من " الإيطاليين " من تجار مدينة " كيرتا " بعد سقوطها ، ويقول المؤرخ ساللوستيوس أن أعوان يوجورثا وأذنابه فى السناتو حاولوا امتصاص هذا الغضب الشعبى من خلال قوة نفوذ وأموال الملك لكن دون جدوى . لقد صدر قرار من السناتو بمحاربة يوجورثا عسكرياً وغزو مملكة نوميديا وأسندت هذه المهمة إلى القنصل لوكيوس كالبورنيوس بستيا الذى اختار أن يكون مساعده فى هذه الحملة أحد النبلاء الأقوياء وهو القنصل الأسبق أيميليوس سكاوروس (١٢) . ورغم ثناء المؤرخ على الصفات الممتازة التى يتمتع بها القائدان من طاقة وحيوية وروح عالية وقدرة على التحمل وذهن حاد وبصيرة ورؤية بعيدة النظر وخبرة عسكرية عالية ورباطة جأش فإنه يعيب على كليهما جشعهما وحبهما الفائق للمال

والثروات[١٣]. ويخلص المؤرخ من ذلك الموقف إلى أن يوجورثا لعب على وتر الفساد لدى الرجلين وتوصل معهما إلى تمثيلية محكمة يتظاهر هو فيها بالاستسلام للجيش الرومانى ويقدم رموزاً شكلية على هذا الاستسلام المزعوم مثل بعض الفيلة وقطعان من الماشية والخيل تسلم للكويستور الرومانى [١٤] ، فى حين التقى الملك (يوجورثا) سرا بالقائدين ورتب معهما تفاصيل الصفقة بعد أن قدم رشوة ضخمة من قبل لمهندس هذه الصفقة سكاوروس مساعد بستيا [١٥] .

وحين تسربت هذه الأنباء إلى روما إثر عودة القنصل بستيا إليها للإشراف على الانتخابات اشتعل النقاش حول فساد القنصل فى كل مكان فى روما لا سيما بين العامة الذين كانوا حانقين جداً على فساد النبلاء الذين لاذوا بالصمت والتردد . وفى هذا الجو أشعل أحد ترابنة العامة هذا الحنق والغيظ الشعبى المكبوت بخطبه النارية عن مدى الفساد والجشع والأنانية وخيانة المسئولية والأمانة وبيع الوطن للأعداء وهى الجرائم التى تفشت بين صفوف النبلاء . وعلى أثر ذلك وبعد خطب التريبون جايوس ميميوس الحماسية ومطالبته بمعاقبة هؤلاء الخونة دعا إلى إحضار يوجورثا إلى روما ـ بعد منحه الأمان ـ ليكون شاهداً حياً على خيانة وفساد هؤلاء القادة وغيرهم من النبلاء [١٦] . وحين اطمأن يوجورثا على سلامته من خلال تعهدات البرايتور لوكيوس كاسيوس الذى أنيطت به مهمة اصطحاب يوجورثا إلى روما توجه إلى هناك لكى يدلى بشهادته حول مخالفات ورشاوى تلقاها كبار القادة والنبلاء وذلك

أمام الجمعيــة القبليـة فـى رومـا ٠ وفـى رومـا لقـى تشـجيعاً مـن أعوانـه الرومان واستمال إليه المزيد منهم وأبرزهـم أحـد ترابنـة العامـة ويدعـى جايوس بايبيوس بتقديم رشوة ضخمة إليـه (١٧) ٠ وفـى المقـابل قـام هـذا الأخير بدور هـام فـى إنقـاذ يوجورثـا مـن براثـن العامـة المهتـاجين فـى الجمعية القبلية ومن ضغوط التربيون الآخر الثائر جايوس ميميوس الذى أعـد قائمـة اتهـام مفصلـة لأعـوان يوجورثـا فـى رومـا وألـح فـى طلـب شهادته٠ هنا تدخل التربيون الآخر جايوس بايبيوس وطلب من يوجورثـا ألا ينبس بكلمة رغم هياج العامة ، وانتهـى الأمـر بـأن انفضـت الجمعيـة القبلية وسط غضب شديد ومكتوم من جموع العامة (١٨) ٠

وبعد أن أطمأن على مصيره بعد هذا الموقف شرع يوجورثـا فـى استغلال نفوذه وأمواله وهو فـى رومـا للتخلـص مـن أحـد اللاجئيـن مـن العائلة الملكية النوميدية فى روما وهو ماسيفا بـن جولوسـا بـن ماسينيسـا أحد ورثة عرش نوميديا من بعـده ، والـذى فـر مـن نوميديـا بعـد سـقوط كيرتا ومقتل أدهربال٠ وقد نفذ يوجورثا هذه الخطة بالفعل حين كلف بها ساعده الأيمن وموضع ثقته بوميلكـار الـذى كـان معـه فـى رومـا والـذى اسـتأجر بعـض المحـترفين الرومـان الذيـن نفـذوا هـذه الجريمــة ، بـل واستطاع أن يُهرِّب بوميلكار سرا إلى نوميديا رغم الاستياء والاسـتهجان الشديد للجريمة من الرومان ٠ ورغم ذلك كلـه لـم يملـك الرومـان إيـذاء يوجورثـا لمـا كـان يتمتـع بـه مـن حمايـة وحصانـة وإنمـا طالبـه السـناتو بمغادرة إيطاليا، وبعد أن خرج يوجورثا من بوابات روما آمنا بعد كل ما

فعله قال عبارته الشهيرة : " مدينة (روما) للبيع مقدر لها الدمار السريع لو وجد المشترى " [١٩] • " Urbem venalem et mature perituram, si emptorem invenerit " •

عند هذا الحد قررت روما العودة إلى ميدان القتال ضد يوجورثا مرة أخرى وعينت هذه المرة القنصل سبوريوس ألبينوس لخوض المعركة عام ١١٠ ق•م• وبعد أن وصل هذا القنصل إلى افريقيا وأعد العدة للمعركة ضد يوجورثا راوغه يوجورثا وماطله وتظاهر بالاستسلام حيناً وشن للهجمات على الرومان حيناً آخر وذلك لكسب الوقت ، وهو ما نجح فيه يوجورثا وعاد ألبينوس إلى روما بسبب اقتراب موعد الانتخابات فى روما تاركاً أخاه أولوس ألبينوس للاضطلاع بالقيادة • ومن المعروف أن يوجورثا أحرز انتصاراً ساحقاً على هذا القائد بالإنابة وجيشه وأجبرهم على المرور من تحت النير رمزاً للإذلال [٢٠] (وهو انتصار سنتناوله فيما بعد) • ويذكر ساللوستيوس أن من بين عوامل انتصار يوجورثا فى هذه المعركة هو أن عملاءه قد جعلوا شغلهم الشاغل ليل نهار إغواء الجيش الرومانى من خلال رشوة قادة المئات وقادة سرايا الفرسان لكى يفروا من مواقعهم أو ليتركوها عندما يتلقون إشارة ما [٢١] •

هذه هى حالات الرشوة والإفساد بالمال للقادة والنبلاء وأصحاب المناصب الرومان من قبل يوجورثا كما رصدها المؤرخ ساللوستيوس ، أما فيما تلى ذلك من أحداث فلم يتسن ليوجورثا إغواء القادة الرومان

ذوى السلوك المستقيم والسيرة المنزهة عن الفساد مثل متيللوس وماريوس ٠ لكن إلى أى مدى كانت هذه الصورة القاتمة عن يوجورثا ــ بصفته ذلك الشخص النهم إلى السلطة الماكر المراوغ المتعطش للدماء المفسد للقادة الرومان ــ صحيحة ؟ وهل كانت مهمة القادة الرومان الأقوياء ممن يتمتعون بالنزاهة الأخلاقية مثل ميتيللوس وماريوس سهلة هينة إذا كان أقوى أسلحة يوجورثا ضد الرومان وهو الرشوة ــ كما يزعم ساللوستيوس مراراً وتكراراً ــ[٢٢] قد سقط ؟ وهل حارب هؤلاء القادة ممن يوصفون بالنزاهة الأخلاقية معاركهم ضد يوجورثا بأخلاقيات الفارس النبيل الذى يواجه خصمه فى ميدان المعركة العسكرية فقط كما زعم الرومان لأنفسهم فى معاركهم المبكرة ضد المدن الأترورية وضد الملك بيروس ملك ايبيروس الذى حارب مع تارنتوم ضد روما [٢٣] ؟ هذه الأسئلة سوف نحاول الإجابة الموضوعية عنها من خلال المصدر الرومانى نفسه وهو المؤرخ ساللوستيوس الذى تبنى وجهة النظر الرومانية ولكنه قدم ــ رغم ذلك ــ تفاصيل جيدة يمكن أن نستشف منها حقيقة الموقف ٠

والآن نناقش نقطة هل كان يوجورثا فعلاً ذلك الشخص النهم للسلطة والعرش فى حد ذاتهما ٠ وهل قام فى سبيل ذلك بالغدر وسفك دم ذوى قرباه وشركائه فى العرش ؟ أم أن هناك دوافع أخرى مختلفة لما فعل ؟

لقد رأينا فى بداية هذا البحث كيف صور الرومان يوجورثا فى شبابه المبكر بأنه ذلك الشاب الجسور القوى الرياضى المتواضع الذى غرس محبته غرساً فى قلوب مواطنيه ، وكيف نال بعد ذلك حب واحترام الرومان له بعد أن أبلى معهم بلاءً حسناً فى نومانتيا ، وكيف أوصوا به خيراً ليصبح أحد الشركاء فى عرش نوميديا بعد وفاة عمه ميكبسا عام ١١٨ ق٠م٠ كل ذلك يؤكد أنه كانت تتوافر به كافة المؤهلات ليصبح ملكاً قوياً مهاباً لم يسعِ نحو العرش بل إن جدارته هى التى أوجدت وخلقت له الفرصة ليصبح شريكاً فى العرش ، بل والشريك الأقوى والأكثر جدارة ٠

لكن تبقى النقطة الأكثر جدارة بالمناقشة هنا وهى : هل عمد إلى الاستئثار بالعرش والتخلص من شريكيه بالغدر وسفك الدماء من أجل الانفراد بعرش المملكة فقط ؟

الإجابة ببساطة ومن واقع الأحداث المذكورة عند ساللوستيوس تخالف هذا التصور ـ رغم إلحاح هذا المؤرخ على ترسيخه ٠ إن دوافع التخلص من الملكين الشريكين له كانت تكمن فى نوعين من الدوافع : ذاتية وموضوعية ٠ تتمثل الدوافع الذاتية فى احتقار هيمبسال (الابن الأصغر من أبناء عمه ميكبسا) ليوجورثا وحقده عليه وعدم رغبته فى أن يشاركهما يوجورثا فى حكم المملكة وأعرب عن ذلك صراحة فى بداية تولى الثلاثة عرش المملكة [٢٤] ٠ هذه المعاملة من هيمبسال تجاه يوجورثا أثارت استياء وقلق يوجورثا نحوه وصعدت من شكوكه بأن

هيمبسال قد يدبر مؤامرة للخلاص منه ، لذلك أخذ يوجورثا زمام المبادرة ورسم مع أعوانه خطة لاغتيال هيمبسال فى داره [٢٥] ٠ومن الطبيعى فى هذا الصدد كذلك ألا يأمن للأخ الأكبر أدهربال الذى لابد — إن تُرِك وشأنه ـ أن يثأر لأخيه ذات يوم ٠

أما الدوافع الموضوعية ليوجورثا فى التخلص من شريكيه فى الحكم وابنى عمه فيأتى على رأسها اختلاف شخصيته عنهما وبالتالى اختلاف نظرته عنهما فى أمور السياسة والحكم ولاسيما موقفه من روما ونظرته إليها ٠ إن علاقة روما بمملكة نوميديا — منذ حكمها ماسينيسا جد يوجورثا بعد موقعة زاما سنة ٢٠٢ وحتى حكم الشركاء الثلاثة عام ١١٨ ق٠م٠ ـ كانت فى ظاهرها علاقة صداقة وتحالف ، لكنها فى حقيقتها علاقة تبعية من نوميديا لروما ٠ ولعل كلمات أدهربال وهو يناشد شيوخ السناتو ويستجديهم الوقوف إلى جواره ضد يوجورثا الذى هزمه وأجبره على الفرار خير شاهد على ذلك ٠ ونورد فيما يلى مقتطفات من خطبة أدهربال هذه تؤكد هذا النهج من قبل ملوك نوميديا السابقين واقتناع أدهربال بصحة وسلامة هذا النهج ، إنه يقول مثلاً :

" إن ماسينيسا قد علمنا ـ أيها الآباء الموقرون — ألا نرتبط بغير الشعب الرومانى وألا نقيم أى تحالفات أو نبرم أى معاهدات جديدة ٠ لقد قال بأن فى صداقتكم الحماية الكافية لنا وأنه إذا تبدلت أقدار امبراطوريتكم فسيكون فى ذلك سقوطنا " [٢٦] ٠

" أيها الآباء المبجلون ، لقد نصحنى أبى ميكبسا وهو يحتضر أن أضع فى أعتبارى أننى مجرد حاكم على مملكة نوميديا ، أما بقية الأمور من تشريع وسلطة فى المملكة فإنها من شأنكم وبأيديكم . كما نصحنى أن أبذل قصارى جهدى فى تقديم أقصى عون ممكن للشعب الرومانى فى السلم والحرب وأن أعتبركم أهلا لى وقربى وجيران . وقد صرح لى بأننى إن فعلت ذلك فإننى سأجد فى صداقتكم الجيش والثروة والمتاريس التى تصون مملكتى " (٢٧) .

يختتم أدهربال توسلاته الحارة لرجال السناتو بقوله :

" لا تسمحوا بسقوط مملكة نوميديا التابعة لكم ولا تسمحوا بدمارها من خلال الشر والغدر وسفك دماء أسرتى " (٢٨) .

أما يوجورثا فكانت له وجهة نظر مغايرة تماماً فى الرومان أفصح عنها حينما وصلت العلاقة بينه وبين روما إلى طريق مسدود وإلى الحرب الفعلية ضد روما فى ميدان القتال ، لا سيما بعد أن أرسلت روما إليه بعضاً من أشجع قادتها مثل ميتيللوس ثم ماريوس . لقد كان يوجورثا يرى فى الرومان طامعين فى بلاده وأن على شعب مملكته أن يدافعوا عن أنفسهم وعن مملكتهم أمام جشع الرومان (٢٩) . كما كان يرى فيهم أمة ظالمة وأطماعها لا تقف عند حد وتناصب الجميع العداء ولديها شهوة السيطرة والتسلط وتقطر كراهية لكافة الممالك لا سيما القوية منها ، وضرب أمثلة على ذلك بعدائهم للقرطاجيين والملك بيرسيوس (ملك مقدونيا) من قبل (٣٠) .

لكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا حارب إلى جانب الرومان فى قمعهم لتمرد مدينة نومانتيا فى اسبانيا سنة ١٣٤ ق٠م٠ ولماذا اكتسب صداقة وود العديد من رجالهم البارزين بالهدايا وغيرها ؟ لقد فعل ذلك فى شبابه وتنفيذاً لأوامر عمه الملك ميكبسا الذى كان حليفاً للرومان يقف معهم حرباً وسلماً وأراد — من طرف خفى كما رأينا من قبل — أن يتخلص من هذا الشاب القوى الذى تخوف منه على مستقبل ولديه ٠ ولكن من جانب آخر سواء كانت كراهية يوجورثا للرومان قد تولدت قبل مشاركته لهم فى هذه الحملة أو بعدها — وهو الأرجح — فإن مشاركته لهم فى هذه الحملة عادت عليه بفوائد شتى ٠ إذ ربما أدرك خلال هذه الحملة عن كثب مدى ظلم وقسوة الرومان حيث دمروا تلك المدينة التى ثارت عليهم ـ كما دمروا من قبل مدينتى كورنثه وقرطاجة عام ١٤٦ ق٠م٠ ـ وكان نفس القائد الذى دمر قرطاجة وهو سكبيو ايميليانوس هو من دمر نومانتيا ٠ كما تعلم من هذه الحملة أساليب القتال الرومانية ووعاها واستفاد منها فى المستقبل حين أضطر لقتالهم ٠ وربما كان من أكبر مكاسبه فى هذه الحملة أنه استطاع أن يعد جيداً لهدف مرحلى وهو تدعيم فرصته للوصول إلى عرش نوميديا من خلال كسب ثقة الرومان أصحاب الكلمة العليا فى تزكية هذا الأمير كما رأينا ٠ كما أدرك عن قرب نقطة ضعف معظم الساسة الرومان وهو جشعهم وحبهم للثروات وهو سلاح سيحاول استغلاله ما أمكن فى حربه ضدهم وكثيراً

ما أثبت فعاليته كما رأينا فعلاً . باختصار لقد درس يورجورثا فى نومانتيا عدوه وعرف عن قرب أنجح الطرق للتعامل معه .

من هنا كان من الطبيعى أن يتخلص يوجورثا ـ بعد تحقيق هدفه المرحلى بالوصول الى العرش بالمشاركة مع ولدى عمه ـ من شريكيه فى العرش لاختلافه معهما جذرياً فى نظرته إلى روما التى يتطلع إلى الخلاص من وصايتها على مملكته وتدخلها الدائم فى شئونها . إن تطلع يوجورثا لتحقيق سيادة واستقلال مملكته كان يقتضى أولاً التخلص من أذناب روما وأتباعها فى نوميديا حتى لا يعرقلوا هدفه فى السيادة على نوميديا . لقد كان هدف يوجورثا إذن أن يحكم مملكة نوميديا المستقلة القوية التى لا تدين بالتبعية ولا تتلقى الأوامر والتعليمات من السناتو . لكن يوجورثا لم يكن ذلك الرجل المندفع المتهور بل كان ذلك السياسى الحصيف الداهية الواقعى الذى يدرك أن لا قبل له بالصدام المباشر والتمرد الصريح على روما منذ البداية ، إن ذلك كان بمثابة نوع من الانتحار السياسى . لذلك وظف يوجورثا كل أسلحته ورتبها لمواجهة الرومان على مراحل ، وتمثلت أسلحته فى المال والدبلوماسية الماهرة التى تعرف كيفية احتواء الخصم ، وبعد هذا وذاك ـــ وفى نهاية الأمر حين وصلت الأمور بينه وبين الرومان الى طريق مسدود ـــ لم يكن هناك مناص من اللجوء إلى القوة العسكرية واستخدامها بدرجة عالية من الذكاء الذى أربك وأزعج خصومه كثيراً .

أما عن أسلحة يوجورثا ضد الرومان

فلقد كان استخدامه لسلاح **المال والهدايا** فى استقطاب عدد كبير من الساسة والقادة الرومان إلى صفه ــ كما رأينا من قبل ــ أمراً مشروعاً فى حرب بين طرفين غير متكافئين يتفوق أحدهما (الرومان) على الآخر عدداً وعتاداً • فحين أدرك يوجورثا مدى ما وصل إليه المجتمع الرومانى من انغماس فى الفساد وحب جامح للثروات كان لابد له أن يتسلل الى مواقعهم الحساسة بهذا السلاح الذى أثبت فعالية غير عادية • إن أى جهاز استخبارات فى عالمنا الحديث والمعاصر يفاخر كثيراً إذا نجح فى تجنيد عملاء له فى دولة الخصم خاصة إذا كانوا يشغلون مواقع حساسة ، فلماذا ينكر الرومان على يوجورثا ممارسة هذا الأسلوب ؟ الإجابة الطبيعية : لأن ذلك كان ضد مصالحهم كما أن يوجورثا قد مارس هذه السياسة بدهاء شديد ولم يدخلها فى منعطف حاد بمعنى أنه لم يقم بهذا الأمر بصورة سرية ــ دائماً ــ حتى لا توجه لـ "عملائه " من الرومان تهمة " الخيانة " الصريحة ، بل جعل هذا الأمر يبدو فى صورة " هدايا " يقدمها لـ " اصدقاء " •

أما سلاحه الثانى الذى حاول توظيفه بمهارة ضد الرومان فهو سلاح **الدبلوماسية** الذى حاول من خلاله إقناع الرومان بأنه يُكنّ لهم كل احترام ويرتبط معهم بصداقة وطيدة فى نفس الوقت الذى ينفذ فيه مخططاته كما دبرها • وسنورد هنا بعض الأمثلة الواردة عند ساللوستيوس للتدليل على دبلوماسية يوجورثا مع الرومان إلى أن بدأت

نواياه فى الاستقلال بنوميديا تتكشف للرومان ، وهنا برح الخفاء وزادت حدة الخصومة وأصبح ميدان المعارك العسكرية لا غير هو الفيصل بين الطرفين • فبعد أن اغتال شريكه الأصغر فى الحكم ابن عمه هيمبسال وأرغم أخاه أدهربال إلى الفرار إلى روما واللجوء للسناتو لإعادته لعرشه بعد توسل واستعطاف شديدين كان يوجورثا قد أرسل مبعوثيه كذلك إلى السناتو لتبرير التصرفات التى اقدم عليها ومحاولة إقناع الرومان بسلامة موقفه • وفى هذه المناسبة حاول هؤلاء المبعوثون ـ الذين يتحدثون بلسان يوجورثا ـ تفنيد مزاعم أدهربال وتصوير الموقف بصورة مغايرة : ففيما يتصل باغتيال هيمبسال ذكروا أن النوميديين قتلوه لقسوته ووحشيته ، وعن فرار أدهربال ذكروا أنه شن حرباً دون مبرر ضد يوجورثا ولما هزم ولم يتمكن من الحاق الأذى بيوجورثا فر واشتكى ، أما عن مخاوف الرومان من انقلاب يوجورثا عليهم وعدم تنفيذه لتعليماتهم فقد أكد المبعوثون من قبله أن يوجورثا صديق الرومان وحليفهم الذى عرفوه فى نومانتيا لم يتغير (٣١) • وكان من نتيجة هذا الدفاع الدبلوماسى الماهر أنه حين طُرح الأمر للمداولة بين أعضاء السناتو بعد سماع دفاع الطرفين أن مجموعة كبيرة من أعضاء السناتو ـ الذين يذكر ساللوستيوس أنهم ممن طالهم إفساد يوجورثا ـ استهزأوا بدفاع أدهربال وامتدحوا فضائل يوجورثا وسخّروا كل نفوذهم وفصاحتهم وكل شئ ممكن للدفاع عن وجهة نظر يوجورثا (٣٢) •

وترتب على ذلك صدور قرار من السناتو بتقسيم المملكة بين الطرفين المتحاربين يوجورثا وأدهربال كما أسلفنا ٠

وفى مناسبة تالية بعد التقسيم وبعد تحرشات واستفزازات وهجمات من يوجورثا ـ حسب رواية ساللوستيوس ـ لأملاك أدهربال والتحام الطرفين فى قتال انتصر فيه يوجورثا واضطر أدهربال إلى أن يلوذ بمدينة كيرتا (قسنطينة) التى كان بها عدد كبير من التجار الإيطاليين٠ هنا حاصر يوجورثا المدينة حصاراً شديداً قبل أن يسقطها ، وفى أثناء الحصار وصلت بعثة السناتو مسرعة لكى تعوقه عن إسقاط المدينة وطلبوا منه بأسم السناتو والشعب الرومانى أن يلقى الطرفان المتحاربان السلاح ويتوصلا لتسوية قانونية لخلافاتهما ٠ ولما كان هذا المطلب يتعارض مع رغبات ومصالح يوجورثا فقد كان رده على مطالب المبعوثين الرومان فيه رفض لهذه المطالب ولكن بدبلوماسية بالغة حيث طمأن الوفد الرومانى بأنه يحترم إرادة السناتو ورجاله وأنه يحرص على ذلك منذ شبابه المبكر وتربطه صداقة وطيدة بزعماء الرومان ، ولكنه ـ هكذا يقول ـ كلما ازدادت فضائله كلما عافت نفسه أن تطيق الجور والبغى ٠ وذلك أن أدهربال تآمر لاغتياله فى خسة وأنه اكتشف وقاوم المحاولة الإجرامية ، وأن تصرف الشعب الرومانى لن يكون عادلاً ولا صائباً إذا ما أبى عليه حقاً من حقوقه حسب القانون الدولى ٠ وقال أنه سيرسل مبعوثين إلى روما على وجه السرعة ليشرح الأمر برمته ٠

وعلى هذا افترق الطرفان دون أن تتاح الفرصة أمام الوفد الرومان للحديث إلى أدهربال (٣٣) ، واستمر يوجورثا فى تنفيذ مخططه رغم تلقيه تهديدات عنيفة ـ لاحقاً ـ من مبعوثين رومان آخرين وفعل كل ما فى وسعه حتى أسقط المدينة وقتل أدهربال بعد تعذيبه (٣٤) .

وبعد سقوط كيرتا بهذه الطريقة اشتعل غضب عامة الرومان بتحريض من التريبون جايوس ميميوس وأرسلت حملة القنصل بستيا التى أخفقت بسبب الرشوة ، وفى النهاية طالب العامة باستدعاء يوجورثا للشهادة حول فساد نبلاء الرومان كما أسلفنا . ما يعنينا فى هذا المقام هو دبلوماسية يوجورثا عندما لم يشأ أن يستفز مشاعر الرومان وذهب إلى روما برفقة المبعوث المرسل لاصطحابه من قبل السناتو الرومانى ، والأهم من ذلك أنه ـ حرصا على مشاعر الرومان المستنفرة أصلاً ـ لم يأت إلى روما فى ثياب الملوك وفخامتهم بل ارتدى ملابس تثير الشفقة والتعاطف (٣٥) .

أما السلاح أو الأسلحة الأخرى التى استخدمها فى حربه ضد الرومان فقد كان **قدراته العسكرية الفذة** من شجاعة فائقة وذكاء خططى وتنظيمى شديد لقواته وقدرة بارعة على المناورة وإذكاء الحماس بين قواته والسرعة والسرية فى تحركاته التى ساعده عليها معرفته الوثيقة بجغرافية مملكته ودروبها التى أحسن استغلالها . إن يوجورثا المقاتل فى ساحات المعارك العسكرية ضد الرومان أثبت أنه لم يكن لقمة سائغة امام القادة الرومان ـ حتى من تمتع منهم بسمعة عسكرية متميزة مثل

متيلليوس وماريوس ـ بل كان نداً عنيداً لهم وكال لهـم ضربـات موجعـة وفاجأهم بمواقف وتكتيكات لم تكن فى حسبانهم ٠

ولنحاول أن نرصد بعضاً من أبـرز المواقـف العسكرية والقتاليـة ليوجورثا ضد الرومان والتى تجلت فيها شجاعته الفائقة وحسـن تصرفـه ومناوراته الذكية البارعة وبعضاً من الضربـات والهزائم الموجعـة التـى ألحقها بالرومان ٠ إن المواجهة العسكرية الحقيقية بين روما ويوجورثـا بدأت عقب عودة الأخير من روما فى زيارته المشـهورة التـى لـم تحقـق أهداف الشعب الرومانى بل على العكس استغلها يوجورثا فى تصفية أحد منافسيه على العرش ٠ وبعد عـودة يوجورثـا إلـى بـلاده أرسلت رومـا جيشاً لمحاربته بقيادة القنصل سبوريوس البينوس سنة ١١٠ ق٠م٠ الذى أحسن الاستعداد للحرب ونقل القوات والمؤن والعتاد إلى افريقيا محـاولاً أن يضع نهاية للحرب مع يوجورثا قبل حلول موعد الانتخابات فى روما بأية وسيلة ٠ وفوجئ هذا القنصل المتحمس بخصـم مـراوغ ذكـى أربـك خططه إذ عمد يوجورثا إلى التلكؤ والمناورات لاستهلاك الوقـت وتثبيـط همة القنصل إذ كان يتظاهر بالخوف والفـرار ويقـدم وعـوداً بالاستسـلام حيناً ويهاجم القنصل وقواته فى ضربات خاطفة من حين لآخر ٠ وبهـذه المماطلـة المحسـوبة أربـك القنصـل سـبوريوس ألبينـوس وجعلـه ألعوبـة وهزواً حتى أقترب موعد الانتخابات فى روما فأبحر القنصل إلـى هنـاك للإشراف عليها وترك أخاه أولوس ألبينوس على قيادة الجيش فى نوميديا [٣٦] ٠ وقد حاول هذا الأخر أن ينجز ما أخفق فيـه أخـوه القنصـل وهـو

إنهاء وحسم الحرب لصالح الرومان فقام باستدعاء الجند من معسكراتهم الشتوية فى يناير وقصد بقواته إلى مدينة " سوثول " فى قلب صحراء نوميديا حيث توجد الخزانة الملكية ٠ ورغم الحصانة الطبيعية للبلدة وسوء الأحوال الجوية أصر أولوس ألبينوس على مهاجمة البلدة وأعد العدة لشن الهجوم ٠ وهنا تعامل يوجورثا مع الموقف بدهاء واقتدار إذ أدرك غرور وقلة كفاءة هذا القائد الرومانى ومع ذلك مد له حبل الغرور طويلاً حين أرسل الملك إليه مبعوثين يطلبون منه الصفح والعفو فى نفس الوقت الذى ابتعد فيه بجيشه إلى الأحراش والطرق الجانبية كما لو كان يريد تجنب المواجهة ٠ هذا الموقف أغرى أولوس ألبينوس بالابتعاد عن سوثول وتعقب يوجورثا وجنده وأمعن يوجورثا فى التظاهر بالتقهقر إلى مناطق قصية وأوعز إلى ألبينوس أنه إنما يفعل ذلك حتى يمكن أن يتوصل معه إلى صفقة أو اتفاق لا يثير الانتباه ٠ وبعد كل هذه الترتيبات والمناورات قام (بمداهمة معسكر أولوس ألبينوس فى جنح الليل بحشد كبير من النوميديين فسادت حالة من الذعر والارتباك بين الجنود الرومان بسبب ضخامة القوة النوميددية وظلام الليل الحالك مما أدى إلى فرار الجند الرومان تاركين أسلحتهم ولاذوا بتل مجاور ، ولولا انهماك النوميديين فى جمع الغنائم ونهب المعسكر لأحرزوا نصراً ساحقاً) ٠ ورغم ذلك فإن يوجورثا اجتمع فى اليوم التالى بالقائد الرومانى وأخبره أنه (هو وجيشه تحت رحمة النوميديين وأن أمامهم أن يموتوا جوعاً أو قتلاً ، ولكنه ـ مراعاة لظروف واعتبارات إنسانية ـ يمكن أن يعفو عنهم

إذا مروا من تحت النير(رمز الإذلال) وأبرموا معاهدة مع يوجورثا وأن يتركوا نوميديا فى غضون عشرة أيام ٠وقد نفذ الرومان هذه الشروط المهينة ليفلتوا من القتل)[٣٧]٠

بعد هذه الهزيمة المهينة التى لاقت ردود أفعال عنيفة فى روما وبعد رفض السناتو التصديق على المعاهدة التى أبرمها القائد المهزوم مع يوجورثا أرسلت روما لمحاربة يوجورثا واحداً من خيرة قادتها سنة ١٠٩ هو القنصل ميتيللوس ٠ لقد كان هذا القنصل يتمتع بسمعة لا تشوبها شائبة وأعد جيشاً قوياً ومجهزاً وأحسن الاستعداد تماماً للحرب بكل ما يلزم لها ، وحظى بمساندة قوية من السناتو الذى حشد له كذلك إمدادات من الحلفاء والمدن اللاتينية والملوك من أصدقاء روما [٣٨] ٠ لقد تهيأت كل الظروف العسكرية أمام الرومان لخوض منازلة عسكرية صرفة ضد يوجورثا وليس فيها مجال للخديعة أو الرشوة أو أية أسلحة أخرى مما كان يستخدمه يوجورثا حسب ادعاء الرومان ٠ ومع ذلك فقد كانت هذه فرصة سانحة ليوجورثا لإثبات جدارته العسكرية كقائد ومقاتل ومناور ممتاز وها هى الأمثلة التى تبرهن على ذلك ٠

بعد أن اجتاح ميتيللوس ريف نوميديا بقواته لم يجد فيها ما يدل على حالة حرب إذ تظاهر يوجورثا بالهدوء ويقول عنه ساللوستيوس "لقد كان يوجورثا فى غاية الدهاء وعلى دراسة كبيرة بالمنطقة وخبيراً بالأمور العسكرية ، حتى أننا لا ندرى إن كانت خطورته أكثر فى غيابه أم فى حضوره ، فى السلم أم فى الحرب " [٣٩] ٠ كان يوجورثا يتابع

تحركات ميتيللـوس وجيوشـه ويترصدها عـن طريـق قـوات الاسـتطلاع التابعة له وجمع قواته واستطاع ـ من خلال خبرته بجغرافية بلاده ـ أن يسبق جيش ميتيللـوس ويرابط بقواتـه علـى المرتفعـات المحاذيـة لأحـد الأنهار المحلية (نهر موثول) وهى مرتفعات مغطاة بالأشجار والنباتات التى تخفى تحركات جيشه • وأعد يوجورثا قواته إعداداً جيداً لمواجهـة خصمه بخطوات مدروسة هى الشحن المعنوى الهائل لقواته ضد أطمـاع الرومـان فـى وطنهم وتذكيرهم بـأنهم سبق لهـم النصـر علـى الرومـان وإخضاعهم تحت النير ، ثم أعطاهم تعليمات بشن الهجـوم علـى مؤخـرة الجيش الرومانى من كل جانب بغير التحام مباشر وبقوة وحيوية هائلـة ، كما أصدر أوامره لفرسانه بالتراجع متفرقين وبأقصى سرعة إن هاجمهم الرومـان لتشـتيت انتبـاه الرومـان [٤٠] • هـذه الخطـة التـى نفذهـا جيـش يوجورثا أربكت صفوف الجيش الرومـانى وأوقعتـه فـى فوضـى عارمـة ولـم تعطـه فرصـة القيـادة المنظمـة وأوقعـت فـى صفوفـه خسـائر كبـيرة بفضـل ديناميكيـة يوجورثـا وحركتـه الدائبـة بيـن قواتـــه يشـــجعهم علـــى مواصلة القتال بكل حيلة ووسيلة [٤١] • وبصعوبة شديدة تمكّن ميتيللوس من جمع شتات قواته وشن هجوماً مضـاداً ناجحـاً ضـد قـوات يوجورثـا التى ولى معظمها بسرعة كبيرة ، وهو الأسلوب الذى نصح به يوجورثـا فرسانه ، وهنا اعتقد ميتيللوس أنه حقق النصر على قوات يوجورثا[٤٢] •

وحين أدرك ميتيللوس ـ من خلال قوات استطلاعه ـ أن انسـحاب يوجورثا لم يكن سوى انسحاب تكتيكى الغرض منه تعبئة جيش أكبر فـى

منطقة غابات ذات مناعة طبيعية قرر ألا يخوض معارك نظامية ضد يوجورثا بل يقوم بتخريب الأراضى الخصبة وحرق المدن لإلقاء الرعب فى النفوس واحتجاز رهائن كثيرين [٤٣] . وفى مواجهة هذا الموقف قرر يوجورثا أن يرد على هذه الأعمال بالطريقة الملائمة فشن حرب عصابات على القوات الرومانية وكان يباغت الجند الرومان فى أوقات راحتهم ويتسلل اليهم هو وفرسانه من طرق جانبية غير مألوفة ويقتل الكثيرين منهم وأسر الكثيرين وبعدها يتفرق النوميديون من حيث أتوا[٤٤]. ونتيجة لذلك بدأ ميتيللوس يلزم الحذر الشديد ولا يندفع دون روية فى تدمير المدن والقرى [٤٥] . ومع ذلك لم يكف يوجورثا عن أعمال المقاومة على طريقة حرب العصابات وكان يقوم بتسميم آبار المياه التى يلجأ إليها الرومان ويفسد أعلاف ماشيتهم ، وتباغت قواته قوات ميتيللوس حيناً وقوات مساعده ماريوس حيناً آخر مهدداً هؤلاء وهؤلاء دون أن يترك لهم أى فرصة لالتقاط الأنفاس أو تنفيذ خططهم[٤٦] .

وهكذا نرى أن يوجورثا رجل لا يعرف الخوف أو اليأس بل يعاود الكرة بأقوى مما كان ، ومناور بارع يعرف كيفية مواجهة كل موقف بما يلائمه من تكتيكات [٤٧] وخطط ناجحة تجعل العدو يرتبك ويتراجع عن تنفيذه خططه الفاشلة ، كما نراه يستفيد كثيراً من معرفته بجغرافية بلاده فى شن الهجمات المؤثرة على العدو من خلال طرق ودروب غير مألوفة .

بعد فشل هذه الخطة من ميتيللوس وثبوت عدم جداوها لجأ إلى خطة أخرى يستهدف من ورائها إجبار يوجورثا على مواجهة عسكرية يفرض هو (ميتيللوس) ظروفها • هذه الخطة الجديدة تتمثل فى فرض الحصار على مدينة " زاما " وهى قلعة وحصن الجزء الشرقى من نوميديا ظناً منه أن ذلك سيجبر يوجورثا على المجئ بقواته لنجدة المدينة المحاصرة • لكن يوجورثا فوت هذه الفرصة كذلك على خصمه حين أبدى تشجيعه ومؤازرته المعنوية الهائلة للمدينة وحث سكانها على التصدى للمعتدين الرومان بكل قوة وأنه سيكون إلى جانبهم عند الضرورة ثم غادر المدينة إلى الصحراء [٤٨] • وأبدت مدينة زاما مقاومة ضاربة وباسلة ضد الجيش الرومانى الذى كان يحاصرها وضرب أهلها مثلاً رائعاً فى البطولة وساعدهم على ذلك ــ إضافة إلى عتادها القوى من السلاح والرجال ــ منعتها الطبيعية وتحصيناتها القوية[٤٩] • وقد أرهق الحصار الطويل للمدينة ــ دون جدوى ــ المقاتلين الرومان الذين تكبدوا خسائر فادحة فى الأوراح ، وأدرك ميتيللوس أن الحصار لم يحقق أياً من أهدافه فلا هو أسقط المدينة القوية ولا هو استدرج يوجورثا إلى معركة لا يريدها ولذلك رفع الحصار عن زاما وغادرها [٥٠] دون تحقيق أى إنجاز يذكر بل على العكس بعد أن منى بخسائر فادحة •

وفى نفس الوقت الذى ترك فيه يوجورثا لأهل مدينة (زاما) مهمة الدفاع عن مدينتهم وهو ما أنجزوه بكل همة ونجاح كما رأينا ، كان

يتحين الفرص ويكيل الضربات الموجعة للقوات الرومانية فى أماكن أخرى من نوميديا • فبينما كانت القوات الرومانية تحاصر مدينة زاما انقض يوجورثا فجأة على المعسكر الرومانى بقوة كبيرة واقتحم إحدى بوابات المعسكر وفى هذا الموقف المفاجئ حل الذعر والاضطراب بجند المعسكر الرومانى فحاول بعضهم الفرار وحاول آخرون تسليح أنفسهم ولكن سقط معظمهم تقريباً بين قتيل وجريح ، ولم يصمد من بينهم سوى أقل من أربعين (٥١) • وهناك قلة تمكنوا من الفرار صوب ميتيللوس ورجاله ولما أدرك الأخير حقيقة الموقف أرسل كل قوات الفرسان على عجل إلى المعسكر وأمر ماريوس أن يلحق به فوراً بسرايا الحلفاء **وتوسل إليه بالدموع** باسم صداقتهما وبلدهما ألا يسمح بأى وصمة خزى أن تلطخ جيشهم المنتصر وألا يدع الأعداء يفلتون بغير عقاب(٥٢)• لكن يوجورثا كان قد انسحب هو ورجاله إلى مكان آمن ولكن بعد أن فقد عدداً من رجاله الذين انحشروا فى طرقات وتحصينات المعسكر الضيقة أثناء محاولتهم الإنسحاب السريع بعد إنجاز مهمتهم بنجاح • ورغم أن ميتيللوس أخذ حذره من هذا الموقف وقام فى اليوم التالى بتأمين المعسكر بحراسة مشددة من الفرسان الذين قاموا بالمرابطة امام الجهات التى يتوقع أن يأتى منها النوميديون فإن هؤلاء الآخرين باغتوا المعسكر الرومانى بكمين من نقطة أخرى غير متوقعة أربكت وأفزعت الجند الرومان حتى أتى إليهم مدد لنجدتهم من بقية رفاقهم •

وكانت محصلة هذا الكمين أيضـاً انتصـاراً ليوجورثـا وهزيمـة للمعسكر الرومانى [٥٣] .

وفى مناسبة لاحقة استعد يوجورثا لتوجيه ضربات أخرى للرومان من خلال تعبئة وإعداد المزيد من الجند ومحاولـة استعادة بعض المدن التى استولى عليها الرومان وتحصين المواقع ذات الأهمية ٠ وكـان مـن بين المـدن التـى احتلهـا الرومـان ووضعوا فيهـا حاميات مدينـة تُدعـى "فاجا"، ومع ذلك كـان أهلهـا ــ كمـا سيتضح ــ يدينـون بـالولاء لملكهم يوجورثا ٠ لقد دبر يوجورثا مع وجهاء المدينة خدعة ومؤامـرة للقضـاء على الحامية الرومانية فى المدينة ، فحددوا موعداً لاحتفال كبير يقام فـى المدينـة ودعـوا إليـه كبـار رجـال الحاميـة مـن قـائد الحاميـة والترابنـة العسكريين وقادة المئات ليشاركوهم الاحتفال فـى منـازلهم ٠ وفـى أثنـاء الاحتفال ذبح النوميديون ضبـاط الحاميـة ولـم ينـج مـن المذبحـة إلا قـائد الحامية اللاتينى توربيليـوس الـذى أعدمـه الرومـان لاحقـاً لأنـه لـم يقدم تبريراً مقنعاً لكيفية نجاته وحده ٠

وبعد هذه المذبحة بين قادة وضباط الحامية داهـم النوميديـون جنـد الحامية الذين كانوا يتجولون بلا أسلحة وانقضوا عليهـم وشـارك وجهـاء المدينـة وعامتهـا بـل وحتـى أطفالهـا ونساؤها فـى القضـاء علـى الجنـد الرومان قضاء مبرماً بأن أغلقوا عليهم بوابات المدينة وحالوا بينهم وبين قلعتهم وأسلحتهم وانقضـوا عليهـم ذبحـا، بـل أن النسـاء والأطفـال كـانوا يرشقونهم بالحجارة وكل ما تقع عليه أيديهم من فوق أسطح المنازل[٥٤].

وبعد الحزن والغضب الذى سيطر على ميتيللوس إثر سماعه بهذه المجزرة بين قوات حاميته انتقم لهم بعد يومين بالحيلة والخديعة أيضاً إذ سار بقواته نحو المدينة وسير فى مقدمة قواتــه فرسـان نوميديين تـابعين له، وحين أقترب مـن المدينـة ظـن أهلهـا أن يوجورثـا قـادم إليهـم فهبـوا لاستقباله بفرحـة غـامرة وفتحـوا بوابـات المدينـة وهنـا أسـرع الرومـان بأقتحام المدينة وتدميرها عن آخرها [٥٥] .

وحتـى عندمـا سـاءت حظـوظ يوجورثـا فـى ميدان المعركـة أمـام ميتيللوس حين سقطت واحدة من أهم وأكبر وأغنـى مدنـه فـى صحـراء نوميديا وهى ميدنة " ثالا " فى أيدى قوات ميتيللوس [٥٦] تمكن يوجورثـا من الفرار مع أسرته ومعظم ثروته إلى الجزء الغربى من نوميديـا قـرب حدود موريتانيا (المغرب الحالية) وكان يقطن ذلك الجزء شـعب بدائـى يسـمى " الجـايتوليون " ٠ إن يوجورثـا لـم يصـب باليـأس والقنـوط بعـد هزيمتـه فـى " ثـالا " بـل اسـتمال إلـى صفـه هـؤلاء الجـايتوليين ودربهـم ونظمهم وعلمهم أصول الجندية وكون منهم جيشـاً جديـداً ، كمـا اكتسـب صداقة الملك بوخوس ملك موريتانيا وأقنعه بالتحـالف معـن لشـن حـرب مشتركة ضد الرومان الغاصبين [٥٧] .

وبعـد إقصـاء ميتيللـوس مـن قيـادة الجيـش الرومـانى مـن نوميديـا وإسـنادها إلـى القنصـل الجديـد مـاريوس سـنة ١٠٧ ق٠م٠ شـن الأخـير معارك ناجحة ضد يوجورثا واستطاع ـ بالغدر والحيلة تارة وبالمصادفة تارة أخرى ـ إسقاط بعض المدن والقلاع فى نوميديا كما سنرى لاحقاً ٠

وفى ظل هذه الظروف العصيبة حثّ يوجورثا حليفه الملك بوخوس على سرعة شن الحرب على الرومان فى نوميديا وطردهم من أفريقيا • وقام الملكان بشن هجوم كبير مفاجئ على قوات ماريوس وهى فى طريقها إلى معسكراتها الشتوية وكان وقت الهجوم قرب غروب الشمس • وتحت وقع المفاجأة حدث ارتباك شديد فى صفوف القوات الرومانية وحاولوا الدفاع عن أنفسهم دون جدوى بسبب الفوضى فى صفوفهم والتفوق العددى للنوميديين والموريتانيين وهجومهم المكثف من كل جانب [٥٨] •

فى هذا الموقف العصيب أوشك الملكان على إحراز نصر ساحق على الرومان لولا أن ماريوس استطاع أن يسحب قواته بصعوبة شديدة إلى تلين مجاورين يتمتعان بحصانة طبيعية وأحاطت بهما جحافل قوات الملكين فى العراء طوال الليل • لكن الملكين أضاعا نصراً سهلاً كان فى متناول أيديهما حينما سهرت قواتهما التى تحاصر التلين طيلة الليل وهى تتصرف كالمنتصرة فعلاً وتحتفل فى غبطة وسرور وضوضاء حتى حل بهم الإنهاك وخلدوا للراحة [٥٩] • وفى هذه اللحظة هبط الرومان من على التلال وباغتوا القوات المشتركة وهى نائمة مما أصابها بالفزع والذعر الشديدين وأسفر عن هزيمة لقوات الملكين التى أضاعت نصراً سهلاً كان فى متناول أيديهم فى الليلة السابقة • لقد كانت هزيمة القوات النوميدية والموريتانية فى المرحلة الثانية من هذه المعركة

نتيجة خطأ فى التقدير واستهانة بالخصم أكثر من كونها نتيجة لقوة الرومان ، إذ أفلت هؤلاء من هزيمة محققة قبل ساعات قليلة ٠

وبعد هذه الهزيمة لقوات الملكين يوجورثا وبوخوس أعادا ترتيب قواتهما من جديد وأعدا العدة لمهاجمة قوات ماريوس وهى فى طريقها إلى معسكرها الشتوى فى مدينة " كيرتا" شرق نوميديا ٠ ودارت معركة شرسة بين الطرفين على مقربة من " كيرتا " ، وفى هذه المعركة لجأ يوجورثا إلى الحيلة والخدعة مع الرومان إذ ترك مكانه فى قيادة المعركة فى المقدمة ضد ماريوس سرا وانضم لقوات الملك بوخوس من المشاة الذين يهاجمون مؤخرة الجيش الرومانى ٠ وهناك أشاع بين قوات الجيش الرومانى فى المؤخرة أنهم يحاربون بلا جدوى إذ زعم لهم أنه (يوجورثا) قد قتل ماريوس بيديه ، وكان لهذه الإشاعة وقع الصدمة بين القوات الرومانية وأشعلت حماس القوات الموريتانية فقاتلت بشجاعة فائقة وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من إحراز النصر على الرومان[٦٠]٠ ولكن ظهور ماريوس المفاجئ ومعه قوات فرسانه وإحاطتهم بقوات بوخوس ويوجورثا أحبط الضربة المعنوية التى كالها يوجورثا لهم ومكن القوات الرومانية من استرداد زمام المبادرة وهزيمة خصومهم ٠

من كل هذه المواقف السابقة فى المعارك بين يوجورثا وخصومه من كبار القادة الرومان نرى أن يوجورثا لم يكن صيداً سهلاً للرومان كما لم تكن حملات الرومان عليه فى نوميديا نزهة عسكرية ٠ لقد أثبت

الرجل نديته – وفى كثير من الأحيان تفوقه ـ للرومان وأفصح عن ملكات عسكرية قديرة وثبات وصلابة لا تلين وذكاء فى مجابهة أعقد المواقف وحسن استغلال لنقاط ضعف وأخطاء عدوه ٠

إن انتصار الرومان فى نهاية المطاف على يوجورثا لم يكن مرده القوة العسكرية الرومانية وحدها – رغم كفاءة وخبرة وصرامة هذه القوة التى من العبث التهوين من شأنها ـ بل أن هناك عنصراً آخر هاماً استغله الرومان بصورة مكثفة ضد يوجورثا وهو الغدر به وتجنيد أقرب مساعديه وحلفائه لمصلحتهم وتحريضهم على يوجورثا حتى أوقعوا به غدراً وغيلة ٠

بعض مواقف الغدر والخديعة من الرومان ضد يوجورثا :

بعد أن أدرك الرومان أن يوجورثا مقاتل ومناور غير عادى ـ لاسميا بعد هزيمة الجيش الرومانى بقيادة أولوس ألبينوس المهينة وإجبار الجيش الرومانى على المرور " تحت النير " رمز الإذلال – عمدت روما إلى إرسال قادة أقوياء ومشهود لهم بالكفاءة والنزاهة لمجابهة هذا الخطر الجاثم على أنفاسهم ٠ ولنتحدث عن مدى كفاءة هؤلاء القادة الرومان مثل ميتيللوس وماريوس ومدى نزاهتهم ٠ أما كفاءتهم فقد وضعها يوجورثا على المحك – كما رأينا – وألحق بهم ضربات عديدة مؤلمة ومؤثرة وبذلك أثبت أنه كان أكثر من ند لهم ٠ وأما الحديث عن نزاهتهم فقد كان يقصد به فى العرف الرومانى بعد واحد فقط هو عدم قبولهم

للرشوة من عدوهم وعدم إمكان إفسادهم بهذا السلاح كبقية رجال عصرهم فى روما ۰ لكن هؤلاء لم يكونوا منزهين عن الغدر ومحاولة الإيقاع بعدوهم القوى بعيداً عن ميدان المعركة بأساليب غادرة وبعيدة عن سلوكيات المقاتل النبيل ، بل لقد أزمعوا منذ البداية اللجوء إلى الغدر كخيار أساسى أزمعوا ــ منذ بداية غزوهم لنوميديا ــ استخدامه ۰

حين وصل ميتيللوس إلى نوميديا لأول مرة وكان يوجورثا يدرك مدى استقامته واستحالة رشوته لجأ إلى المناورة معه وأرسل إليه مبعوثين من جانبه للتفاوض معه وأوهمه ــ عدة مرات ــ أنه ينوى الاستسلام ۰ وهنا يقول ساللوستيوس أنه " لما كان ميتيللوس على علم مسبق ــ من خلال تجاربه ــ أن النوميديين شعب غادر وذو مزاج متقلب ومغرم بالتجديد فإنه كان يلتقى المبعوثين (من يوجورثا) فرادى واحداً بعد الآخر ، وظل يسبر أغوارهم تدريجيا وبعد أن أدرك أنهم ملائمون لغرضه أغراهم بكثير من الوعود لكى يسلموه يوجورثا حياً إن أمكن ، إلا إذا تعذر ذلك فيسلمونه مقتولاً " (٦١) .

وبعد ذلك حين أخفقت خطة ميتيللوس فى إسقاط مدينة " زاما " بعد حصارها لمدة طويلة دون جدوى وبعد الخسائر الفادحة التى منى بها الرومان هناك جرب أن يستخدم سلاح الغدر ضد خصمه يوجورثا ۰ لذلك أراد ميتيللوس أن يجند لمصلحته أبرز رجال يوجورثا وساعده الأيمن المدعو " بوميلكار " الذى أشرف وخطط لمؤامرة اغتيال ماسيفا أحد أصحاب الحق فى العرش النوميدى فى روما حين كان هناك

(بوميلكار) بصحبة سيده يوجورثا وأفلح فى تهريبه إلى نوميديا سراً بعد تنفيذ عملية الإغتيال ٠ " ونظراً للصداقة الوطيدة التـى كـانت تربـط هـذا الرجل بيوجورثـا فقد كـان لديـه فرصـة عظيمـة لخداعـه ، لذلـك حـاول ميتيللوس اكتسابه إلى صفه بوعـوده الكثيرة لـه ٠ لـذا فقد دبـر أولا أن يأتى الرجل للقاء به سراً ثم تعهد بشـرفه أنـه إن سلمه يوجورثـا حيـاً أو ميتاً فـإن السـناتو سـوف يسـقط العقوبـة عنـه (المتعلقـة بجريمـة اغتيـال ماسيفا) وسـوف يسترد (بوميلكـار) كافـة أملاكـه ٠ وكـان مـن السـهل إغراؤه وإقناعه لأنـه كـان غـادراً بطبيعتـه ولأنـه كـان يخشـى ــ إن تـم التوصل إلى سلام مع روما ــ أن يكون تسليمه لروما وإعدامه هو شـرط إحلال ذلك السلام " (٦٢) ٠

ويبدو أن هذا الاتصال السرى بين ميتيللوس وبوميلكار قد أثمر إذ بدأ الأخير يخطط للخلاص من يوجورثا واجتذب نحـوه أحد عليـة القـوم كذلك من النوميديين ويدعى " نابدالسا " الذى كان يحظى بشـعبية طاغيـة بين قومه وكان مقرباً جداً مـن الملـك يوجورثـا وينـوب عنـه فـى بعـض الأمور إذا كان الملك مرهقاً أو مشغولاً بأمور أهم ٠ وقد اتفق بوميلكـار و " نابدالسا " على التآمر علـى مليكهمـا يوجورثـا واختـارا توقيتـاً لتنفيـذ المؤامرة واغتيال الملك على أن يتـم حسـم وترتيـب التفـاصيل فـى وقـت التنفيذ طبقاً لظروف الموقف نفسه ٠ ولكن هـذه المحاولـة أخفقـت عندمـا جبن " نابدالسا " عن الحضور فى التوقيت المحدد بسبب خوفه من هـول الجريمة مما أحبط المحاولة ٠ وهنا أرسل بوميلكار رسالة توبيخ وتعنيف

لشريكه بسبب تراجعه عن خطتهما المشتركة وحثه على ألا يتراجع عن الأمر وأخبره أن نهاية يوجورثا قد أوشكت ٠ ولسوء حظ طرفي المؤامرة فإن هذه الرسالة قد وقعت في يد الملك إذ قام خادم " نابدالسا" بالتقاطها من على سرير سيده وهو نائم ٠ وقد دافع " نابدالسا " عن نفسه وأقسم ليوجورثا أنه كان يزمع إبلاغه بالخطة قبل أن يقوم خادمه بذلك(٦٣) ٠ وهنا قام الملك بإعدام بوميلكار وعدد كبير من المتورطين بهذه المؤامرة ٠ ولكن هذا الموقف أثر بشدة على نفسية يوجورثا وهو يرى الغدر من أقرب المحيطين به فلم يطب له من حينها المقام في ليل أو نهار وأصبح قلما يثق بشخص أو مكان أو زمان وأصبح يخشى مواطنيه وأعداءه على حد سواء ، وكان في حالة من الترقب الدائم ويقضي لياليه في أماكن مختلفة ويصحو على كل صوت ويمسك بأسلحته ، وتملكه خوف مرضي (٦٤) ٠

في هذه الظروف النفسية السيئة ليوجورثا ازدادت العزلة الخانقة حوله إذ فقد أصدقاءه حيث قتل هو الكثير منهم وفرَّ بعضهم إلى الرومان والبعض الآخر لجأ إلى الملك بوخوس في موريتانيا ٠ وهنا تقلبت أحواله وازدادت شكوكه ومخاوفه من الغدر والخديعة وأصبح يغير خططه وطرقه وقادة جيشه ٠ وأخيراً اعتصم يوجورثا ورجاله بمدينة " ثالا " الصحراوية الكبيرة والغنية التي احتفظ فيها بأسرته ومعظم ثرواته ٠ وربما كانت هذه الظروف النفسية الكئيبة التي مر بها الملك النوميدي أحد أسباب سقوط هذه المدينة في يد ميتيللوس بعد حصار طويل وبعد

هروب يوجورثا وأسرته ومعه معظم ثروته [٦٥] • هكذا ترك الغدر أثره الواضح على يوجورثا ومعنوياته وحالته القتالية لأنه غدر غير متوقع ومن جانب واحد من أخلص أصدقائه •

ورغم أن يوجورثا تماسك من جديد بعد هذا الموقف وكون جيشاً جديداً من الجايتوليين وتحالف مع بوخوس ملك موريتانيا ضد الرومان وأحرزوا ضدهم بعض الانتصارات الجيدة التى لم يحافظوا عليها للنهاية فإن الغدر والخديعة عادا للظهور مرة أخرى فى وجه يوجورثا وأوديا به هذه المرة • فبعد معارك عديدة للملكين ضد الرومان ـ رأينا بعضاً منها ـ كان النصر فيها حليف الرومان فى اللحظة الأخيرة بعد أن كان فى متناول أيدى الملكين وضاع لسوء تقديرهما نجد الرومان يعودون مرة أخرى لاستخدام سلاح الغدر ضد يوجورثا وفى هذه المرة عن طريق حليفه الملك بوخوس • فبعد انتصار الرومان على الملكين فى المعركتين اللتين سبقت الإشارة إليهما بدأ بوخوس يرسل رسله إلى الرومان سراً ويطلب من ماريوس أن يرسل إليه اثنين من كبار ضباطه للتفاوض معهما حول مصالحه ومصالح الرومان • وهنا لعب الكويستور سوللا دوراً دبلوماسياً فى غاية الأهمية حين بدأ يستميل بوخوس لصفوف الرومان ويثنى على ميله للسلم مع الرومان ويحاول أن يباعد بينه وبين يوجورثا [٦٦] •

وتكررت البعثات والوفود بين بوخوس والرومان وبدأ يوجورثا يخشى من تأثير الرومان على حليفه ولذلك جعل أحد أعوانه ويدعى

"أسبار" يحاول التجسس على مهمة سوللا فى بلاط بوخوس . لكن الأخير استطاع أن يغافل رسول يوجورثا بتمويه متعمد وحديث مقتضب مع سوللا فى حضوره إذ تظاهر سوللا بأنه مهمته أن يوصل رسالة من ماريوس إلى بوخوس يسأل فيها القائد الرومانى ملك موريتانيا إن كان يرغب فى السلم أم فى الحرب ويرد الملك بأنه سيرد على هذا السؤال بعد عشرة أيام . وبعد انصراف مبعوث يوجورثا مطمئناً لهذا الحوار يعقد سوللا والملك بوخوس اجتماعاً سرياً (٦٧) بينهما فى الليل يعبر فيه الملك عن سروره البالغ بصداقة الرومان ويتلمس الأعذار لعدائه السابق لهم ويبدى استعداده لتلبية مطالبهم ويطمئنهم إلى تخليه عن حليفه يوجورثا وأنه لن يتدخل إلى جانبه فى أى حرب مقبلة مع الرومان ولن يسمح له بعبور نهر مولوخا الفاصل بين المملكتين (٦٨) . لكن سوللا يفاجئ الملك بأن الخدمة الحقيقية التى يستطيع أن يسديها لروما هى أن يقوم الملك بوخوس بتسليم يوجورثا لها بالحيلة ومنّاه فى المقابل بالصداقة والتحالف مع روما وبجزء من مملكة نوميديا . وبعد رفض وتردد من بوخوس فى البداية لتلبية هذا المطلب الصعب إلا أنه بدأ يقتنع وأذعن فى نهاية الأمر (٦٩) .

ووضع بوخوس خطة غادرة لتحقيق ذلك إذ اتصل بحليفه وصديقه القديم يوجورثا وأفهمه أن الرومان يسعون إلى السلام وأنه يتطلع لمعرفة رأيه . ووافق يوجورثا على رغبة بوخوس ولكن حذره ألا يأمن غدر الرومان الذين كثيراً ما ينقضون عهودهم ووافق على حضور اجتماع

عام مع بوخوس والمبعوث الرومانى سوللا٠ وطلب من بوخوس أن يسلمه سوللا لضمان جدية الاتفاق وتظاهر بوخوس بالموافقة لكى ينفذ خطته العكسية وهى تسليم يوجورثا إلى سوللا ٠ وأعد الكمين بإحكام بين بوخوس وسوللا ومن معه من أفراد الكمين الرومانى المتأهب فى موقع قريب ، ووصل يوجورثا ومعه بعض رفاقه وهو أعزل من السلاح ـ مطمئناً إلى وعود حليفه ـ إلى مكان الاجتماع فانقض أفراد الكمين الرومانى على رفاق يوجورثا وقتلوهم واقتادوا معهم الملك الأسير [٧٠] الذى سقط ضحية الغدر والخديعة ولم يسقط فى ميادين المعارك التى أبلى فيها بلاء حسناً٠ وهكذا انتهت قصة كفاح ملك عظيم ومناضل ثائر ضد هيمنة الرومان على مقدرات تلك المنطقة نهاية مأساوية غادرة سنة ١٠٥ ق٠م ٠

إن يوجورثا حتى فى حالة سقوطه فى ميدان المعركة العسكرية ضد الرومان كان سيبقى حالة وظاهرة بطولية غير عادية إذ تصدى لقوة عسكرية عاتية ومنظمة وذات خبرة قتالية طويلة ، فما بالنا بأن قوة الرومان الهائلة لم تتمكن من القضاء عليه فى ميادين المعارك العسكرية ولم تحطم إرادته الفولاذية وإنما هزمه الغدر والخذلان دون سواهما ٠ لاشك أننا أمام بطل ومناضل رائع !

الخاتمـــة :

فـي الختـام يجـدر بنـا أن نذكـر أننـا إذا كنـا قـد توصلنـا إلـى هـذه الصورة الرائعة عن هذا البطـل مـن خـلال مصـدر كتبـه أعداؤه الذيـن حاولوا جهدهم تشويه صورته فما بالنا لو كانت هناك معلومات عنه مـن الطرف النوميدى أو من طرف محايد ٠ إن استخلاص هذه الصورة مـن المصدر الرومانى لم يكن أمراً يسيراً أو هيناً إذ أن المؤرخ ساللوستيوس منحاز بصورة واضحة ـ فى أحكامه وعرضه للأحداث ـ للجـانب الـذى يمثله وهو الجانب الرومانى ٠ ولكنـه رغم ذلـك صـور الوقـائع بقـدر لا بأس به من الموضوعية وهى التى مكنتنا إلى حد كبير من محاولة رسـم صورة موضوعية نسبياً عـن شـخصية يوجورثـا ودوره الوطنـى لخدمـة بلاده ، بعد أن نحينا جانباً عواطـف المؤرخ وأحكامـه وطريقـة عرضـه المنحازة للموضوع وركزنا على الوقائع المجردة فى إطارها التاريخى٠

ولبيان هذه النظرة المنحازة من قبل المؤرخ سنورد بعض الأمثلـة التى تناقض فيها مع نفسه أو جانبه فيها الصـواب ٠ ففـى أحـد المواقـف التى حدثـت بيـن يوجورثـا وميتيللـوس فـى أثنـاء حصـار الأخـير لمدينـة (زاما) يبدو تناقض المؤرخ وعدم دقة أحكامه ٠ هذا الموقف يتمثـل فـى أن ميتيللوس كان قد أصدر أوامره لمساعده " ماريوس " بأن يذهـب إلـى بلدة تدعى " سيكا " لكـى ينهب بعض المـؤن والأعـلاف منهـا ، وكـان يوجورثا يقتفى أثـر هـذه القـوة وهـى تخـرج مـن بوابـة البلـدة وكـان مـع يوجورثا مجموعة من أفضل فرسانه وطوقوا الرومان عنـد البوابـة وهـم

خارجين بعد تنفيذ مهمتهم ٠ وصاح يوجورثا بأعلى صوته يحرض أهل " سيكا" لكى يحيطوا بمؤخرة الجيش الرومانى ويطوقوها من كل جانب وحثهم بأن هذه هى فرصتهم لإنجاز رائع ومجد كبير ٠

ورغم أن ساللوستيوس سبق أن قرر فى سياق هذه الفقرة أن هذه البلدة كانت أول من تمرد على يوجورثا بعد هزيمته إلا أنه يقول فى هذا الموقف أنه لولا أن ماريوس أسرع بالتقدم ومغادرة المدينة لانقلب عليه معظم أهلها – إن لم يكن كلهم – لأن التقلب من شيم النوميديين (٧١) ٠ التناقض فى أحكام المؤرخ هنا واضح إذ يبدو من الموقف أن أهل هذه البلدة لم يتمردوا على مليكهم يوجورثا كما يقرر المؤرخ ، فلو كانوا قد انقلبوا عليه فعلاً لما ذكر المؤرخ أنهم كانوا على وشك الإطباق على ماريوس وجنده الرومان لولا إسراع الأخير بمغادرة المدينة ٠ إن الموقف يوحى بأن أهل البلدة قد خضعوا للرومان على كره منهم ولكنهم لم يفقدوا ولاءهم لملكهم وإخلاصهم له وكانوا يتحينون الفرص للثأر من الرومان ، ولذا يحكم عليهم المؤرخ بالتقلب وهو ليس بتقلب وإنما موقف أصيل كامن فى نفوسهم وهو كره الرومان والرغبة فى هزيمتهم حين تحين الفرصة ٠ إن هذا الاتهام الزائف من المؤرخ ساللوستيوس للنوميديين بالتقلب والغدر يتكرر فى عدة مواضع فى مؤلفه (٧٢) ، وهو يقصد بذلك تحينهم الفرص للانتقام من الرومان المحتلين لبلادهم وكأنما المطلوب منهم استمراء الاحتلال والإذعان له حتى لا يوصموا بالغدر والتقلب ٠ نفس الموقف ونفس الاتهام من المؤرخ للنوميديين بالغدر

والتقلب حدث مع أهل (فاجا) الذين دبروا ونفذوا المذبحة للحامية الرومانية فى المدينة[٧٣]. إنه يتهم أى مقاومة نوميدية للاحتلال الرومانى بأنها غدر وتقلب .

موقف آخر متناقض وغير منطقى يورده المؤرخ ساللوستيوس عن يوجورثا وهو أن الأخير ـ بعد إلحاح وتوسلات وإقناع من مساعده بوميلكار الذى أستغل ضعفاً فى سيده وهو منهك يندب حظه ـــ قد اقتنع بالاستسلام للقائد الرومانى ميتيللوس وأرسل له رسلاً يعرضون عليه استسلام يوجورثا . وهنا جمع ميتيللوس أركان حربه من رجال السناتو إلى مقر القيادة واتفقوا على شروط استسلام يوجورثا وهى أن يقدم للرومان مئتى ألف رطل من الفضة وكل ما لديه من أفيال وقدر كبير من خيوله وأسلحته وأنه وافق على هذه الشروط على الفور مقابل تسليم الفارين من جنده لدى الرومان . وأنه بعد تنفيذ كل هذه الشروط تردد مرة أخرى ـــ خوفاً من أن يعاقب على جرائمه السابقة ـــ ورفض الاستسلام [٧٤] !

رواية فى غاية العجب وغير قابلة للتصديق ، ومما يزيد من عجبها واستحالتها هو توقيت حدوثها : يذكر المؤرخ أن ذلك قد تم بعد فشل ميتيللوس فى إسقاط مدينة (زاما) بعد حصارها الطويل الفاشل والخسائر التى منى بها الرومان أثناء الحصار من المدافعين عن زاما من ناحية ومن ضربات يوجورثا الموجعة للمعسكر الرومانى مما أجبر الرومان على فك الحصار عن زاما . هذا هو ترتيب الأحداث كما ورد

عند المؤرخ وهو ترتيب يجعل الحديث عن استسلام يوجورثا أو مجرد التفكير فى ذلك ـ فضلاً عن الإقدام عليه ـ أمراً غير منطقى وغير وارد، إذ كيف يفكر قائد منتصر أحبط خطط عدوه ومنعه من تحقيق أي من مآربه وكال له ضربات موجعة فى الاستسلام ؟! صحيح أن المؤرخ ذكر مراراً فى سياق الموضوع أن يوجورثا عرض أمر استسلامه على كافة القادة الرومان الذين حضروا إلى نوميديا لقتاله من القنصل بستيا إلى سبوريوس ألبينوس وميتيللوس (الذى عرض عليه أمر استسلام يوجورثا أكثر من مرة) من خلال مبعوثى يوجورثا لهؤلاء القادة [٧٥] . لكن اتضح ان هذه العروض للاستسلام من قبل يوجورثا لم تكن سوى مناورات ذكية تكتيكية لكسب الوقت أو للتدبير لخطط مناسبة أو لمد حبل الغرور أمام هؤلاء القادة والتظاهر امامهم بضعفه حتى لا يكشف أوراقه أمامهم ثم يباغتهم بضربات غير متوقعة كما رأينا .

النقطة الأخيرة فى سلسلة هذه الأحكام والروايات الرومانية المتحيزة والمتناقضة التى يطلقها المؤرخ ساللوستيوس هو تهوينه من شأن جند يوجورثا فى بعض المواقف وتبريره لسبل الغدر والخداع الرومانى ضد المدنيين . ففى أحد المواضع يقارن بين الجند الرومان والنوميديين فيصف الرومان بالشجاعة والإقدام أما عن النوميديين فيذكر أن يوجورثا كان يتمتع بكل ما هو ملائم (لشن الحرب) باستثناء جنده، و هو يلمح بهذا إلى فرارهم السريع عندما يهجم عليهم الرومان [٧٦] . ولكنه هو نفسه (المؤرخ) يشير إلى أن فرارهم السريع ـ فى الموقف

الذى يذكر فيه هذا الحكم ـ قد ساعد على تقليل خسائرهم إلى أبعد حد بحيث لقى قلة منهم مصرعهم ونجت غالبيتهم من خلال فرارهم السريع وقلة دراية الرومان بجغرافية البلاد ٠ وفوق ذلك فإن الفرار المنظم السريع كان تنفيذاً لتكتيكات وخطط قائدهم يوجورثا فى مجابهته للرومان(٧٧) ٠

أما عن تبريره لفظائع الرومان ضد المدنيين فلدينا مثال عليه حين أسقط الرومان ـ بالغدر والخديعة وليس بالقتال ـ إحدى المدن النوميدية الحصينة فى قلب الصحراء وهى مدينة " كابسا " ، وبعد استسلام المدينة قام الرومان بحرقها وإعدام شبابها وبيع الآخرين عبيداً وتقسيم غنائم المدينة بين الجند الرومان ٠ هنا يحاول ساللوستيوس أن يتلمس الأعذار الواهية للقائد المنتصر ماريوس فى انتهاكه لقوانين الحرب بالقول بأن ماريوس لم يفعل ذلك بدافع القسوة أو حب المال بل لأن الموقع المذكور كان مفيداً جداً ليوجورثا وكان منيعاً وصعب الاقتحام وأن أهل المدينة متقلبون ولا يوثق بهم (٧٨) ٠

أن الطبيعة البشرية ـ كما نرى من رواية الرومان لقصة يوجورثا ـ لم تتغير ولن تتغير : فالمنتصر المحتل دائماً ما يحاول أن يبرز من الضحية مثالبها ـ من وجهة نظره ـ ويحاول إغفال حقوقها وإيجابياتها وجوانبها المشرقة ٠ كما يحاول أن يبرر لنفسه أشد الجرائم هولاً وفظاعة وانتهاكاً لأبسط حقوق الإنسان ويقلب الصورة ليتهم الضحية بهذه الجرائم النكراء ٠

ولكن مهما تفنن المحتل فى تشويه الصورة وقلب الحقائق فلا يصح ـ فى النهاية ـ إلا الصحيح ٠

هوامش الفصل الأول

(1) Sallustius, Bellum Iugurthinum, V, IX : 3 .

(2) Ibid., VI : 1 - 3 .

VI. 1 :

Sed multo maxume ingenio validus, non se luxu neque inertiae corrumpendum dedit, sed, ut mos gentis illius est, equitare, iaculari, cursu cum aequalibus certare, et cum omnis gloria anteriet, omnibus tamen carus esse; ad hoc pleraque tempora in venando agere, leonem atque alias feras primus aut in primis ferire, plurumum facere et minumum ipse de se loqui.

VI. 3

and hoc studia Numidarum in Iugurtham accensa, ex quibus si talem virum dolis interfecisset, ne qua sedition aut bellum oriretur anxius erat.

(3) Ibid., VII. 4-7 :

ut nostris vehementer carus, Numantinis maxumo terrori esset. Ac sane, quod diffillumum in primis est, et proelio sternuus erat et bonus consilio, quorum alterum ex providentia timorem, alterum ex audacia temeritatem afferre plerumque solet.

(4) Ibid., IX . 1-2.

مما يدل على أن يوجورثا كان يدرك أن عمه ميكبسا لم يكن مخلصاً نحوه ولم يكن – فى قرارة نفسه – يتمنى أن يشركه فى وراثة العرش أُنظر : XI. 1

(5) Ibid., XII - XIII , XX - XXVI.

(6) Ibid., XLI - XLII.

ومن العبارات ذات الدلالة فى هذا السياق قول المؤرخ :

" إن السلام الذى كانت تتوق إليه النفوس فى زمن الشدة والعسر أثبت – بعد الحصول عليه – أنه أكثر قسوة ومرارة من الشدة نفسها ٠ فلقد بدأ النبلاء يسيئون استغلال مناصبهم الشرفية وبدأ العامة يسيئون استغلال حريتهم وأصبح كل شخص يسرق ويدمر وينهب من أجل مصالحه الشخصية ٠ وهكذا انقسم المجتمع إلى حزبين تمزقت الجمهورية بينهما إرباً " ٠

Ita quod in adversis rebus optaverant otium postquam adepti sunt, asperius acerbiusque fuit. Namque coepere nobilitas dignitatem, populus liberatem in lubidinem vortere, sibi quisque ducere, trahere, rapere. Ita omina in duas partis abstracta sunt, res publica, quae media fuerat, dilacerata. (XLI - 4-5 .)

(7) VIII . 1 " Romae omnia venalia esse " .

" كل شئ فى روما قابل للبيع " ، وهى عبارة تكررت بعد ذلك أكثر من مرة فى هذا المصدر : مرة حين استقبل يوجورثا لجنة المبعوثين العشرة من السناتو التى قامت بتقسيم المملكة بينه وبين أدهربال بعد مقتل هيمبسال واستقطب معظمهم لصفه بالرشاوى والهدايا والوعود فجاملوه وأعطوه الجزء الغربى من المملكة وهو الجزء الأكثر خصوبة والمأهول بالسكان ثم غادروا المملكة وحينها اقتنع يوجورثا بصدق هذه المقولة (XXI. 1) ، وفى المرة الثانية قال يوجورثا عبارته الشهيرة " هناك مدينة معروضة للبيع ومقدر لها الدمار السريع لو أن هناك مشترى " والتى قالها وهو يغادر مدينة روما حين استدعى إليها ومنح الأمان سنة ١١١ ق٠م٠ وهناك تآمر وقتل أحد من لهم الحق فى تولى العرش فى روما (XXXV. 10)

VIII . 2 " ut potius publice quam privatim amicitiam populi Romani coleret neu quibus largiri insuesceret ; periculose a paucis emi, quod multorum esse "

(8) XIII . 6 :

Itaque paucis diebus cum auro et argento multo Romam legatos mittit, quis praecipit, primum uti veteres amicos muneribus expleant, deinde novos adquirant, postremo quae cumque possint largiundo parare ne cunctentur.

(9) XVI . 1 - 2 :

Vicit tamen in senatu pars illa, quae vero pretium aut gratiam anteferebat . Decretum fit uti decem legati regnum, quod Micipsa optinuerat, inter Iugurtham et Adherbalem dividerent.

(10) Ibid. 3 - 5 .

(11) XX - XXVI .

(12) XXVII.

(13) XV. 4 :

Aemilius Scaurus, homo nobilis, impiger, factiosus, avidus potentiae, honoris, divitarum, ceterum vitia sua callide occultans.

" أيميليوس سكاوروس ، أحد النبلاء وهو يتسم بالحيوية والروح الحزبية والتطلع النهم إلى السلطة والجاه والثروة ، ولديه مقدرة مؤكدة على إخفاء عيوبه ومثالبه بمهارة ودهاء "

XXVII. 5 :

Nam in consule nostro multae bonaeqaue artes animi et corporis erant, quas omnis avaritia praepediebat : patiens laborum , acri ingenio, satis providens, belli haud ignarus, firmissumus contra pericula et insidias.

" ورغم أن قنصلنا (بستيا) كان يتمتع بخصال كثيرة ممتازة عقلياً وجسدياً إلا أن جشعه وحبه للثروات طمسها جميعاً ٠ لقد كان ذا قدرة فائقة على الاحتمال وذهن حاد وبصيرة كافية وخبرة ودراسة بالحرب ورباطة جأش فائقة ضد المخاطر والمؤامرات " ٠

(14) XXIX.

(15) Ibid. (XXIX) . 1 :

> Sed ubi Iugurtha per legatos pecunia temptare bellique quod administrabat asperitatem ostendere coepit, animus aeger avaritia facile convorsus est.

ولكن عندما حاول يوجورثا أن يجرب ـ من خلال مبعوثيه ـ تأثير المال (على القنصل بستيا) وأوضح لـه مشـقة وصعوبـة الحـرب التـى يزمـع خوضها انصرف تفكير القنصل ـ الذى أفسده حب الـثروة ـ عـن هدفـه بسهولة •

- 29. 2 - 3 :

> Scaurus, qui tametsi a principio, plerisque ex factione eius corruptis, acerrume regem impugnaverat, tamen magnitudine pecuniae a bono honestoque in pravom abstractus est.

أما سكاوروس فعلى الرغم من معارضته العنيفة للملك من قبل حتى بعـد أن طال الفســاد والإغـواء أغلبيـة رجـال حزبـه فقد تحـول مـن الفضيلـة والشرف إلى شخص منحرف بمبلغ ضخم من المال •

- 29 . 5 :

reliqua cum Bestia et Scauro secreta transigit.

" أما بقية الأمور فقد دبرها (يوجورثا) سراً مع بستيا وسكاوروس •

(16) XXX - XXXII. 1.

(17) XXXIII ; 2 :

> ... , C. Baebium tribunum plebis magna mercede parat, cuius impudentia contraius et iniurias omnis munitus foret.

واستمال جايوس بايبيوس تريبون العامة برشوة ضخمة حتى يحتمى من خلال وقاحته ضد القانون وضد أى إهانات أو عنف شخصى •

(18) XXXIII - XXXIV .

(19) XXXV.

(20) XXXVI - XXXIX .

(21) XXXVIII. 3 :

> Interea per homines callidos diu noctuque exercitum temptabat, centuriones ducesque turmarum partim uti transfugerent

corrumpere, alii signo dato locum uti desererent .

(22) XXXI. 12 - 13 ; XXXII . 4 ; XLIII. 5.

At qui sunt ei , qui rem publicam occupavere ? Homines sceleratissumi, cruentis manibus, immani avaritia, nocentissumi et eidem superbissumi, quibus fides, decus, pietas, postremo honesta atque inhonesta omnia quaestui sunt. (XXXI. 12 - 13) .

من خطبة للتريبون جايوس ميميوس فى أعقاب عودة القنصل بستيا من نوميديا : " ولكن من هم أولئك الذين يمسكون بزمام الحكم فى بلدنا ؟ إنهم أناس عتاة فى الشر وأيديهم مخضبة بالدماء وذوو جشع هائل وعتاة فى الإجرام ، ورغم ذلك فهم فى غاية الصلف والغرور ، وبالنسبة لهم فإن الشرف (الأمانة) والفضيلة والولاء وكل شئ شريف وغير شريف هو مصدر للكسب " ٠

- tanta vis avaritiae in animos eorum veluti tabes invaserat

لقد كان حب المال الذى اجتاح نفوسهم جارفاً كالوباء

- et avaritia magistratuum ante id tempus in Nomidia nostrae opes contusae hostiumque auctae erant.

إن حظوظنا فى نوميديا قد تحطمت قبل هذا التاريخ (قبل إرسال ميتيللوس) وزادت حظوظ عدونا من جراء جشع أصحاب المناصب (الرومان) وحبهم للثروات ٠

(23) من قصص التراث الرومانى الشهيرة فى هذا الخصوص القصة الخاصة بمعلم الأطفال فى إحدى المدن الإتروريّة أثناء قتال روما ضد هذه المدينة فى القرن الرابع ق٠م٠ (بعد غزو الغالة لروما ٣٩٠ ق٠م٠) ، إذ جاء هذا المعلم من هذه المدينة بالأطفال الذين يدرس لهم من أبناء كبار المدينة ليكونوا رهائن فى أيدى الرومان حتى تستسلم المدينة ، وكان يطمع فى مكافأة سخية من الرومان ٠ لكن الرومان بدلاً من ذلك أعادوا الأطفال إلى ذويهم وعاقبوا المعلم الخائن ٠ ومن القصص الأخرى قصة طبيب الملك بيروس ملك ايبيروس الذى عرض على القنصل الرومانى فابريكيوس لوسكينوس سنة ٢٧٨ أن يدس السم للملك بيروس ويخلص روما منه ، لكن القنصل رفض العرض وأعاد الطبيب الخائن وسلمه لبيروس ٠

(24) XI. 3 :

Sed Hiempsal , qui minumus ex illis erat, natura ferox et iam antea igonbilitatem

Iugurthae, quia materno genere impar erat, despiciens.

لقد كان هيمبسال ـ أصغر هؤلاء الشركاء ـ متغطرساً بطبيعته ، وكان قد أبدى من قبل احتقاره ليوجورثا بسبب نسبه الوضيع من جهة الأم ، حيث لم يكن نداً له ٠ (أنظر كذلك XI . 5 - 9)

(25) XII.

(26) XIV. 18 :

Postremo Masinissa nos ita instituit patres conscripti, nequem coleremus nisi populum Romanum, ne societates, ne foedera nova acciperemus : abunde magna praesidia nobis in vostra amicitia fore ; si huic imperio fortuna mutaretur, una occidundum nobis esse.

(27) Ibid. 1 :

" Patres conscripti, Micipsa pater meus moriens mihi praecepit, ut regni Numidiae tantum modo procurationem existumarem meam, ceterum ius et imperium eius penes vos esse ; simul eniterer domi militiaeque quam maxumo usui esse populo Romano,

vos mihi cognatorum, vos adfinium loco ducerem : si ea fecissem, in vostra amicitia exercitum, divitias, munimenta regni me habiturum.

(28) Ibid., 25 :

nolite pati regnum Numidiae, quod vostrum est, per scelus et sanguinem familiae nostrae tabescere.

(29) XLIX. 2 :

monet atque obtestatur uti memores pristinae virtutis et victoriae sese regnumque suum ab Romanorum avaritia defendant.

(30) LXXXI . 1 :

يقول يوجورثا وهو يحرّض حليفه الملك بوخوس ملك موريتانيا على الرومان :

Romanos iniutos, profunda avaritia communis omnium hostis esse ; eandem illos causam belli cum Boccho habere,

quam secum et cum aliis gentibus, lubidinem imperitandi, quis omnia regna advorsa sint. Tum sese, paulo ante Carthaginiensis, item regem Persen, post uti quisque opulentissumus videatur, ita Romanis hostem fore.

" إن الرومان ظالمون وأطماعهم لا تقف عند حد وهم يناصبون كل الناس العداء ودافعهم لشن الحرب على بوخوس هو نفس دافعهم لشن عليه (يوجورثا) الحرب وعلى الأمم الأخرى ألا وهو شهوة السيطرة والكراهية والخصومة لكافة الممالك • فعدوهم الحالى هو يوجورثا وقبل قليل كان القرطاجيون والملك بيرسيوس ، وبعد ذلك يتخذون عدواً لهم من يعتقدون بأنه أقوى الأقوياء "

(31) XV. 1 :

Iegati Iugurthae ..... paucis respondent. Hiempsalem ob saevitiam suam ab Numidis interfectum, Adherbalem ultro bellum inferentem,postquam superatus sit, queri quod iniuriam facere nequivisset ; Iugurtham ab senatu petere ne se alium putarent ac

Numantiae cognitus esset, neu verba inimici ante facta sua poneret.

(32) Ibid . 2 - 3 :

Fautores legatorum, praetera senatus magna pars gratia depravata Adherbalis dicta contamnere, lugurthae virtutem extollere laudibus ; gratia, voce, denique omnibus modis alieno scelere et flagitio sua quasi pro gloria nitebantur.

(33) XXII. 2 - 5 :

Quorum lugurtha accepta oratione respondit sibi neque maius quicquam neque carius auctoritate senatus esse ; ab adulescentia ita se enisum ut ab optumo quoque probaretur ; virtute, non malitia P. Scipioni summo viro placuisse ; ob easdem artis a Micipsa, non penuria liberorum in regnum adoptatum esse. Ceterum quo plura bene atque strenue fecisset, eo animum suum iniuriam minus tolerare . Adherbalem

dolis vitae suae insidiatum ; quod ubi comperisset, sceleri eius obviam isse. Populum Romanum neque recte neque pro bono facturum, si ab iure gentium sese prohibuerit. Postermo de omnibus rebus legatos Romam brevi missurum. Ita utrique digrediuntur. Adherbalis appellandi copia non fuit.

(34) XXIII - XXVI.

(35) XXXIII . 1 :

Igitur Iugurtha contra decus regium cultu quam maxume miserabili cum Cassio Romam venit.

(36) XXXVI . 2 :

At contra Iugurtha trahere omnia et alias deinde alias morae causas facere, polliceri deditionem ac deinde metum simulare, cedere instanti et paulo post, ne sui diffiderent, instare; ita belli modo, modo pacis mora consulem ludificare.

(37) XXXVII - XXXVIII :

At Iugurtha, cognita vanitate atque imperitia legati, subdole eius augere amentiam, missitare supplicantis legatos, ipse quasi vitabundus per saltuosa loca et tramites exercitum ductare. Denique Aulum spe pactionis perpulit, uti relicto Suthule in abditas regiones sese veluti cedentem insequeretur. (38. 1 - 2)

Intempesta nocte de improviso multitudine Numidarum Auli castra circumvenit ....

Vis magna Hostium, caelum nocte atque nubibus obscuratum, periculum anceps, postremo fugere an manere tutius foret ; in incerto erat.

Nostri foeda fuga, plerique abiectis armis, proxomum collem occupaverunt. Nox atque praeda castroum hostis quo minus victoria uterentur remorata sunt. (38 . 4 - 8)

Tametsi ipsum cum exercitu fame et ferro clausum teneret, tamen se memorem humanarum rerum, si secum foedus faceret, incolumis omnis sub iugum missurum. Praeterea uti diebus decem Numidia decederet. Quae quamquam gravia et flagiti plena erant, tamen quia mortis metu mutabantur, sicuti regi lubuerat pax convenit. (38.9-10)

(38) XLIII . 1, 3 - 4 :

Metelloque Numidia evenerat, acri viro et quamquam advorso populi partium, fama tamen aequabili et inviolata.

وقد آلت نوميديا إلى ميتيللوس وهو رجل ذو همة ورغم أنه كـان مناوئـاً للحزب الشعبى فإن سمعته كانت دوماً فوق الشبهات •

denique omnia, quae in bello vario et multarum rerum egenti usui esse solent. Ceterum ad ea patranda senatus auctoritate, socii nomenque Latinum et reges ultro

auxilia mittundo, postremo omnis civitas summo studio adnitebatur.

وباختصار فقد أعد كل ما رآه ذا جدوى بالنسبة لحرب ذات طـابع متغير وتحتاج لإمدادات كبيرة • وبالإضافة إلـى هذه فـإن السـناتو آزره بسلطته كما سـانده المـدن اللاتينيـة والملـوك بإرسـال مـدد إضـافى ، لقـد أبدت الدولة بأسرها أقصى درجات الحماس •

(39) XLVI . 8 :

Nam in Iugurtha tantus dolus tantaque peritia locorum et militiae erat, ut absens an praesens, pacem an bellum gerens perniciosior esset, in incerto haberetur.

(40) XL VIII - L.

- عـن الشـحن المعنـوى مـن يوجورثـا لجنـوده وقواتـه أنظـر : XLIX.2 - 4
- عـن النصـائح والخطـط القتاليـة مـن يوجورثـا لقواتـه وتنفيـذه هـذه الأوامر أنظر : L. 3 - 5 .

Dein repente signo dato hostis invadit. Numidae alii postremos caedere, pars a sinistra ac dextra temptare, infensi adesse

atque instare, omnibus locis Romanorum ordines conturbare.

وفجأة أعطى الإشارة لقواته بشن الهجوم ، وقام بعض النوميديين بمهاجمة خلفية الجيش الروماني وهاجم جزء منهم الميسرة والميمنة وضغطوا عليهم بضراوة وثبات فأثاروا الارتباك في كافة الصفوف والمواقع الرومانية ٠

ante iam docti ab Iugurtha equites, ubi Romanorum turma insequi coeperat, non confertim neque in unum sese recipiebant, sed alius alio quam maume divorsi.

وحسب تعليمات يوجورثا لهم من قبل فإن الفرسان النوميديين حين كانت سرية من الرومان تبدأ في الهجوم عليهم كانوا يرتدّون فرادى وفي اتجاهات متفرقة وينتشرون في أوسع مسافة ممكنة ٠

(41) LI . 1 :

Ceterum facies totius negoti varia, incerta, foeda atque miserabilis. Dispersi a suis pars cedere, alii insequi, neque signa neque ordines observare, ubi quemque periculum ceperat ibi resistere ac propulsare, arma tela, equi viri, hostes atque cives permixti,

nihil consilio neque imperio agi, fors omnia regere.

وهكذا فإن الأمر برمته أصبح مرتبكاً يغلب عليه الشك وشائنا وبائساً • إذ تفرق البعض عن رفاقهم وولى بعضهم الأدبار وهاجم البعض الآخر ولم يكن باستطاعتهم متابعة راياتهم أو صفوفهم ، وإنما حين كان الخطر يحدق بأحدهم كان يثبت مكانه ويدافع عن نفسه • وهكذا اختلطت الأسلحة كما اختلطت الخيول بالناس والأعداء بالمواطنين، ولم تعد هناك فرصة لنصيحة أو قيادة وإنما تحكم الحظ فى كل شئ •

(42) LIV . 1 :

hortatur ad cetera, quae levia sunt, parem animum gerant ; pro victoria satis iam pugnatum, reliquos labores pro praeda fore.

وحثهم (حث ميتيللوس جنده) على الاستمساك بشجاعتهم لإنجاز المهام اليسيرة الأخرى المتبقية وأن قتالهم من أجل النصر قد وصل إلى نهايته، أما بقية جهودهم فسوف تتركز على الغنائم والأسلاب •

(43) Ibid . 5 - 6 .

(44) Ibid. 9 - 10

ipse cum delectis equitibus Metellum sequitur, nocturnis et aviis itineribus ignoratus Romanos palantis repente aggreditur. Eorum plerique inermes cadunt, multi capiuntur, nemo omnium intactum profugit, et Numidae, prius quam ex castris subveniretur, sicuti iussi erant, in proxumos collis discedunt.

وقد قام هو بنفسه (يوجورثا) مع صفوة منتقاة من فرسانه بتعقب ميتيللوس وهاجم الجند الرمان المتسكعين بغتة أثناء الليل عبر دروب غير معروفة فسقط كثير منهم وهم غير مسلحين وأسر كثيرين ولم يفلت منهم واحد من غير أذى • أما النوميديون فقد تفرقوا فى التلال القريبة ـ كما أمروا ـ من قبل أن يأتى مدد من المعسكر الرومانى •

(45) LV. 4 :

neque post insidias Iugurthae effuso exercitu praedari ; ubi frumento aut pabulo opus erat, cohortes cum omni equitatu praesidium agitabant; exercitus partem ipse, reliquos Marius ducebat.

وبعد كمين يوجورثا لم يعد (ميتيللوس) ينهب البلاد بجيشه بغير نظام ، وفى وقت الحاجة إلى الحبوب أو الأعلاف كانت السرايا تقوم بمهمة الحراسة ومعها كافة الفرسان ، وكان هو يقود جزءاً من الجيش ويتولى ماريوس قيادة الباقين ٠

(46) Ibid., 8 :

> Eo tempore Iugurtha per collis sequi, tempus aut locum pugnae quaerere, qua venturum hostem audierat, pabulum et aquarum fontis, quorum penuria erat, corrumpere, modo se Metello, interdum Mario ostendere, postermos in agmine temptare ac statim in collis regredi, rursus aliis, post aliis minitari, neque proelium facere neque otium pati, tantum modo hostem ab incepto retinere.

وفى ذلك الوقت كان يوجورثا يشق طريقه عبر التلال يرقب الموقف لتحديد زمان ومكان القتال ويقوم بتسميم الأعلاف وعيون الماء القليلة التى كان يسمع أن الأعداء سيأتون إليها ٠ ثم يظهر لميتيللوس تارة ولماريوس تارة أخرى ويقوم بمحاولة هجومية على مؤخرة الجيش ثم يتقهقر إلى الجبال فوراً ويشكل تهديداً لهؤلاء مرة أخرى وبعدها يهدد

الآخرين • فلا هو اشتبك فى معركة ولا هو خلد إلى الراحة وإنما أعاق أعداءه عن محاولتهم •

(47) LIV., 9 :

Tamen ex copia quod optumum videbatur consilium capit,

ومع ذلك فقد كان يتبنى أفضل خطة يراها الأنسب حسب الفرصة المتاحة •

(48) LVI. 1 - 3 :

Iugurtham laborantibus suis auxilio venturum ibique proelium fore.

••••• " وأن يوجورثا سوف يأتى لمساعدة رعاياه فى محنتهم وهناك تقع المعركة "

Oppidanos hortatur moenia defendant.... Praeterea pollicetur in tempore semet cum exercitu adfore. Ita compositis rebus, in loca quam maxume occulta discedit,

وحث (يوجورثا) أهل المدينة على الدفاع عن أسوارهم •••• ثم وعدهم أن يأتى بنفسه ومعه جيشه إليهم فى الوقت المناسب • وبعد أن أجرى هذه الترتيبات أنسحب إلى أماكن قصية وسرية للغاية •

(49) LVII - LX.

(50) LXI. 1 :

> Metellus postquam videt frustra inceptum, neque oppidum capi neque Iugurtham nisi ex insidiis aut suo loco pugnam facere et iam aestatem exactam esse, ab Zama discedit....

وبعد أن رأى ميتيللوس عبث محاولته حيث لم يتم الاستيلاء على المدينة كما أن يوجورثا لم يلتحم فى قتال معهم إلا من خلال الكمائن أو من على أرضه هو (من الموقع الذى يحدده هو) كما أن الصيف كان على الأبواب ، انسحب من زاما .

(51) LVIII. 1 - 3 :

> Dum apud Zamam sic certatur, Iugutha ex improviso castra hostium cum magna manu invadit, ... portam irrumpit. At nostri repentino metu perculsi sibi quisque pro moribus consulunt; alii fugere, alii arma capere, magna pars volnerati aut occisi. Ceterum ex omni multitudine non amplius quadraginta memores nominis Romani,

(52) Ibid., 5 :

Igitur equitatum omnem ad castra propere misit ac statim C. Marium cum cohortibus sociorum, eumque lacrumans per amicitiam perque rem publicam obsecrat nequam contumeliam remanere in exercitu victore neve hostis inultos abire sinat.

(53) LIX :

2 - Interim Iugurtha ex occulto repente nostros invadit. Qui in proxumo locati fuerant, paulisper territi pertubantur, reliqui cito subveniunt.

3 - sed advorsis equis concurrere, implicare ac perturbare aciem; ita expeditis peditibus suis hostis paene victos dare.

(54) LXVI - LXVII.

(55) LXVIII - LXIX.

(56) LXXV - LXXVI.

(57) LXXX. 1 - 3 :

Iugurtha postquam amisse Thala nihil satis firmum contra Metellum putat, per magnas solitudines cum paucis profectus, pervenit ad Gaetulos, genus hominum ferum incultumque et eo tempore ignarum nominis Romani . Eorum multitudinem in unum cogit ac paulatim consuefacit ordines habere, signa sequi, imperium observare, item alia militaria facere. Praeterea regis Bocchi proxumos magnis muneribus et maioribus promissis ad studium sui perducit, quis adiutoribus regem aggressus, impellit uti advorsus Romanos bellum incipiat.

وبعد أن فقد يوجورثا مدينة ثالا أعتقد بانه ليس هناك من شئ يقف فى وجه ميتيللوس فسار مع قلة من أتباعه فى الصحارى الشاسعة حتى وصل إلى الجايتوليين وهم شعب بدائى غير متحضر لم يكن قد سمع حتى ذلك الحين باسم روما ٠ وقام يوجورثا بجمع شتاتهم فى مكان واحد وعودهم تدريجيا على الانتظام فى صفوف والانضواء تحت رايات وطاعة الأوامر وتأدية المهام العسكرية الأخرى ٠ ثم اكتسب واستمال اليه أقرب معاونى الملك بوخوس بالهدايا الفخمة والوعود الكبيرة ، ومن

خلال مساعدتهم استطاع التقرب من الملك وأغراه بأن يشن الحرب ضد الرومان •

(58) XCVII.

4 - 5 : et priusquam exercitus aut instrui aut sarcinas colligere, denique antequam signum aut imperium ullum accipere quivit, equites Mauri atque Gaetuli, non acie neque ullo more proeli sed catervatim, uti quosque fors conglobaverat, in nostros, incurrunt.

Qui omnes trepidi improviso metu ac tamen virtutis memores aut arma capiebant.

وقبل أن ينتظم الجيش أو تُعبأ الإمدادات وقبل أن تصدر اية إشارة أو أمر باغت الفرسان الموريتانيون والجايتوليون رجالنا ليس فى هيئة صفوف أو أى خطة لمعركة بل فى جماعات وأسراب حسبما اتفق •

وقد حلّ الارتباك بكافة رجالنا وتملكهم الذعر من هول المفاجأة ومع ذلك تذكروا شجاعتهم وتناولوا أسلحتهم •

(59) XCVIII - XCIX .

98 . 6 : Dein, crebris ignibus factis, plerumque noctis barbari more suo laetari,

exultare, strepere vocibus et ipsi ducos feroces, quia non fugerant, pro victoribus agere.

وبعد أن أشعل البرابرة حرائق عديدة قضوا معظم الليل ـ كما هى عادتهم – فى الابتهاج والجذل الصاخب ، بل وحتى قادتهم الذين تملكهم الفخر والثقة لأنهم لم يجبروا على الفرار تصرفوا تصرف المنتصرين .

- Deinde, ubi lux adventabat, defessis iam hostibus ac paulo ante somno captis, de improviso vigiles, item cohortium, turmarum, legionum tubicines simul omnis signa canere, milites clamorem tollere atque portis erumpere iubet. (XCIX.1)

ثم حين أقترب النهار وحل الإرهاق بالأعداء أخيراً وخلدوا لتوهم للنوم أمر (ماريوس) بصورة مفاجئة أن يقوم الحراس ونافخوا الأبواق فى الكتائب وسرايا الفرسان والفرق بإصدار الإشارة بصوت عال وأن يرفع الجند صيحاتهم ويندفعوا نحو بوابات المعسكر .

- Denique omnes fusi fugatique arma et signa militaria pleraque capta, (99 - 3)

وأخيراً فإن الأعداء هزموا هزيمة نكراء وأجبروا على الفرار وتم الاستيلاء على قدر كبير من أسلحتهم وراياتهم الحربية .

(60) Cl . 6 - 7 :

Dein Numida cognito Bocchi adventu clam cum paucis ad pedites convortit. Ibi Latinenam apud Numantiam loqui didicerat - exclamat nostros frustra pugnare, paulo ante Marium sua manu interfectum. Simul gladium sanguine oblitum ostendere,

.... Quod ubi milites accepere, magis atrociatate rei quam fide nuntii terrentur, simulque barbari animos tollere et in perculsos Romanos acrius incedere.

ثم حين علم النوميدى (يقصد الملك يوجورثا) بوصـول بوخـوس اتخذ طريقة سراً مع قلة مـن أتباعـه باتجـاه مشـاة الملـك (بوخـوس) ٠ وهناك صاح باللاتينية ـ التى تعلم الحديـث بهـا وهـو فـى نومانتيـا ـ أن رجالنا يحاربون بلا جدوى إذ سبق له قبل قليل أن قتل مـاريوس بيـده ٠ وأبرز سيفا مخضبـا بالدمـاء ٠٠٠٠٠ وحيـن سـمع جنودنـا ذلـك تملكهـم الرعب ليس لأنهم صدقوا هذا القول بل بـالأحرى لبشـاعة الأمـر ، وفـى الوقت ذاته ارتفعت معنويات البرابرة وشنوا هجومـاً أكـثر ضـراوة علـى الرومان المحبطين ٠

(61) XLVI . 3 - 4 :

Sed Metello iam antea experimentis cognitum erat genus Numidarum infidum, ingenio mobili, novarum rerum avidum esse. Itaque legatos alium ab alio divorsos aggreditur ac paulatim temptando, postquam opportunos sibi cognovit, multa pollicendo persuadet, uti Iugurtham maxume vivom, sin id parum procedat, necatum sibi traderent.

(62) LXI . 4 - 5 :

quod ei per maxumam amicitiam maxuma copia fallundi erat, multis pollicitationibus aggreditur. Ac primo efficit uti ad se colloquendi, gratia occultus veniat, deinde fide data, si Iugurtham vivom aut necatum sibi tradidisset, fere ut illi senatus impunitatem et sua omnia concederet, facile Numidae persuadet cum ingenio infido tum metuenti ne, si pax cum Romanis fieret, ipse per condiciones ad supplicium traderetur.

(63) LXX - LXXI .

(64) LXXII.

1 - Bomilcare aliisque multis, quos socios insidiarum cognoverat, interfectis iram oppresserat, nequa ex eo negotio seditio oreretur.

وبعد إعدام بوميلكار وآخرين كثيرين ممن أثبت تورطهم فى المؤامرة كظم غضبه حتى لا يثور تمرد من جراء هذا الأمر .

2 - Neque post id locorum Iugurthae dies aut nox ulla quieta fuit; neque loco neque mortali cuiquam aut tempori satis credere, civis hostisque iuxta metuere, circumspectare omnia et omni strepitu pavescere, alio atque alio loco saepe contra decus regium nocta requiescere, interdum somno excitus arreptis armis tumultum facere, ita formidine quasi vecordia exagitari.

(65) LXXIV - LXXVI .

(66) CII.

(67) CVIII - CIX.

- Postquam sicuti voluerat congressi, dicit se missum a consule venisse qauaesitum ab eo pacem an bellum agitaturus foret. Tum rex, uti praeceptum fuerat, post diem decumum redire iubet : ac nihil etiam nunc decrevisse, sed illo die responsurum. Deinde ambo in sua castra digressi. Sed ubi plerumque noctis processit, Sulla a Boccho occulte accersitur ; ab utroque tantum modo fidi interpretes adhibentur.

(68) CX.

من أقوال بوخوس لسوللا فى هذه المناسبة :

- dienique nihil me sciente frustra voles

باختصار فسوف لن أرد لك رغبة طالما كنت على علم بها .

- gerite quod voltis cum Iugurtha bellum. Ego flumen Muluccham, quod inter me et Micipsam fuit, non egrediar neque id intrare Iugurtham sinam.

- شنوا ما تشاءون من حرب على يوجورثا • ولن أسمح لنفسى ولا ليوجورثا بعبور نهر مولوخا الذى كان يفصل بين حدودى وحدود مكيبسا •

(69) CXI :

1 - Faciundum aliquid, quod illorum magis quam sua retulisse videretur ; id adeo in promptu esse, quoniam copiam Iugurthae haberet. Quem si Romanis tradidisset, fore ut illi plurumum deberetur ; amicitiam, foedus, Numidiae partem quam nunc peteret, tum ultro adventuram.

2 - Rex primo negitare; cognationem, affinitatem, praeterea foedus intervenisse.

3 - Denique saepius fatigatus lenitur et ex voluntate Sullae omnia se facturum promittit.

١ - إذ لابد أن يفعل شيئاً مختلفاً يكون فى مصلحتهم (الرومان) أكثر مما يصيب فى مصلحته هو (بوخوس) وذلك أمر فى متناوله لأنه يستطيع السيطرة على يوجورثا • فإذا ما سلم يوجورثا

للرومـان فسيكونون مدينين لـه بشـدة وسـوف يحظـى بالصداقـة والمعاهدة وجزءاً من نوميديا وهو ما يصبو إليه الآن .

٢ – وقد رفض الملك فى أول الأمر قائلاً بـأن علاقتـه وقرابتـه وكذلـك معاهدته (مع يوجورثا) تحول دون ذلك

٣ – وأخيراً وبعد قدر كبير من الجهد أذعن لمشيئة سوللا ووعد بتنفيذ كل ما يرغبه .

(70) CXII - CXIII.

> Deinde ubi dies advenit et ei nuntiatum est Iugurtham haud procul abesse, cum paucis amicis et quaestore nostro quasi obvius honoris causa procedit in tumulum facillumum visu insidiantibus. Eodem Numida cum plerisque necessariis suis inermis, uti dictum erat, accedit ac statim signo dato undi que simul ex insidiis invaditur . Ceteri obtruncati, Iugurtha Sullae vinctus traditur et ab eo ad Marium deductus est.

وحين أشرق النهار ونما إلى علمه (الملك بوخوس) أن يوجورثـا كان على مقربة تقدم ومعه قلة من الأصدقاء والكويستور سوللا إلى تلـة

عالية واضحة وعلى مرأى من المختبئين فـى الكمين ، وكما (لو كان ذهابهم إليه) بمثابة تكريم لـه (ليوجورثا) • وقد أتى النوميدى (يوجورثا) إلى نفس المكان مع جماعة من رفاقه وهم عزل من السلاح ـ حسب الاتفاق ، وفى الحال أُعطيت إشارة للمختبئين فأندفعوا من كل اتجاه على الفور • وقتل بقية رفاقه أما يوجورثا فتمت السيطرة عليه وتسليمه إلى سوللا الذى أخذه إلى ماريوس •

(71) LVI .

3 - quod oppidum primum omnium post malam pugnam ab rege defecerat.

5 - Ac ni Marius signa inferre atque evadere oppido properavisset, profecto cuncti aut magna pars Siccensium fidem mutavissent; tanta mobilitate sese Numidae gerunt.

(72) أنظر على سبيل المثال :

XLVI . 3 , 6 ; LXVI. 2; XC 1-7 .

Nam volgus , uti plerumque solet et maxume Numidarum, ingenio mobili seditiosum atque discordiosum erat,

cupidum novarum rerum, quieti et odio advorsum. (LXVI. 2)

يتحدث المؤرخ هنا عن أهل مدينة (ثاجا) الذى دبروا مؤامرة ومذبحة لرجال الحامية الرومانية فى المدينة فيقول " أما العوام فقد جرت العادة بينهم مثل معظم النوميديين على تقلب المزاج والتمرد والفوضى والرغبة فى التغيير وكانوا يكرهون الهدوء والسكينة " .

(73) LXVI. 2 - 4 .

(74) LXII.

(75) XXIX . 4 - 6 ; XXXVI 2 ; XLVI. 2 ; XLVII . 3 .

(76) LII. 2 , 4 :

2 - Nam Metello virtus militum eart, locus advorsus, Iugurthae alia omnia praeter milites opportuna.

4 - Amisso loco Numidae fusi fugatique . Pauci interiere, plerosque velocitas et regio hostibus ignara tutata sunt.

(77) أنظر هامش رقم (٤٠)

(78) XCI. 7 :

Id facinus contra ius belli non avaritia neque scelere consulis admissum, sed quia locus Iugurthae opportunus, nobis aditu difficilis, genus hominum mobile, infidum, ante ....

الفصل الثانى

تاكفاريناس

تاكفاريناس

ـ شخصية تاكفاريناس ومعاركه ضد الرومان

بعد مضى حوالى مائة وعشرين عاماً من انتصار ماريوس على يوجورثا وأسره عام ١٠٥ ق٠م٠ برز ثائر نوميدى آخر حارب ضد الاحتلال * الرومانى لبلاده ، هذا الثائر هو تاكفاريناس من عصر الإمبراطور تيبريوس ٠ ومن الطبيعى ألا يحظى تاكفاريناس بسمعة وشهرة يوجورثا فقد كان الأخير ملكاً على مملكة نوميديا المستقلة رسمياً (رغم تحالفها وتبعيتها الفعلية للرومان) واتبع أساليب ووسائل عديدة ومتنوعة ـ كما رأينا ـ فى قتاله للرومان وأرهقهم إرهاقاً شديداً وشكّل كابوساً ضاغطاً على أنفاس الساسة والقادة والشعب الرومانى ، ومن هنا ذاع صيته وشهرته ٠ أما تاكفاريناس فلم يكن سوى جندى نوميدى خدم ضمن القوات المساعدة فىالمعسكر الرومانى ثم فرّ من الخدمة وشرع فى تجميع أعوان له فى تجمعات عسكرية من سرايا وفصائل لمحاربة الرومان واعتُرف به قائداً على قبائل بدائية متاخمة للصحراء الأفريقية تُسمى قبائل " الموسولاميين " التى بدأت ترفع السلاح ضد الرومان ٠ ولكن كعادة الرومان ـــ شأن أى مستعمر ـــ زعموا بأن غرض

---

* فى عام ٤٦ ق٠م أراد يوليوس قيصر ـــ بعد موقعة ثابسوس ضد الجمهوريين الفارين إلى أفريقيا ـ توسيع ولاية أفريقيا الرومانية فضم إليها إقليم نوميديا ليصبح جزءا من ولاية أفريقيا ٠ وقد سُمى إقليم نوميديا فى أول الأمر ولاية " أفريقيا الجديدة " ، ولكن ضُمّ معظمه سنة ٢٥ ق٠م٠ ألى ولاية أفريقيا القديمة وأصبحا ولاية واحدة ٠

تاكفاريناس من تكوين قوات عسكرية هو ممارسة اللصوصية والسلب والنهب كما يزعم المؤرخ تاكيتوس فى حولياته عن عصر تيبريوس[١]. وسرعان ما تمكنت قبائل الموسولاميين من جر الموريتانيين المجاورين لهم إلى الإنضمام إليهم فى الحرب ضد الرومان ، وكان يتزعم الموريتانيين قائد يُدعى " مازيبا " ٠ وهكذا تكوّن من الشعبين جيش متحد انقسم إلى تقسيمين : جند مسلحين مجتمعين فى معسكر على غرار النمط الرومانى وأُلزموا بالنظام وطاعة الأوامر وكانوا تحت قيادة تاكفاريناس ، وقوات خفيفة تقوم بإشعال الحرائق والقيام بالمذابح وبث الذعر تحت قيادة مازيبا ٠ كما انضمّ إليهم الكينيثيون[٢] ـ وهم قبائل تقع إلى الشرق فى ولاية أفريقيا قرب خليج قابس ـ وإن كان من المستغرب أن ينضم هؤلاء إليهم نظراً لبعد المسافة بين الفريقين إلا إذا كان المقصود بالإنضمام أن هذه القبائل قد تعاطفت مع القبائل الغربية وناصبت الرومان العداء ووجهت ضربات أو هجمات ضدهم ٠

وقد تجمعت هذه القوات المتحالفة من قبائل الشمال الإفريقى للدخول فى مواجهة مع القوات الرومانية فى ولاية أفريقيا الرومانية ٠ وكان قائد القوات الرومانية فى هذه المعركة هو فوريوس كاميللوس * الذى جمع فرقته والقوات المساعدة تحت قيادته ـــ بصفته بروقنصل ولاية أفريقيا ـ وتوجه بقواته لمواجهة الأعداء ، وقد كانت قواته قليلة

---

* من عائلة الديكتاتور كاميللوس الذى دمر مدينة فياى عام ٣٩٦ ق٠م٠ وتعقب الغال بعد اجتياحهم روما سنة ٣٩٠ ق٠م٠ واسترد منهم الذهب الذى أخذوه من الرومان كما يروى المؤرخ ليفيوس ٠

العدد بالمقارنة بحشود النوميديين والموريتانيين · ولكن يبدو أن هذا القائد الرومانى كان واثقاً من قدراته وقدرات قواته حتى أن الشئ الوحيد الذى كان يخشاه هو أن تتجنب قبائل الأعداء مواجهة قواته خوفاً وفزعاً منها ، ولكن ـ يذكر تاكيتوس ـ فإن الأمل الذى كان يراود هذه القبائل فى تحقيق النصر (ربما بسبب كثرتهم العددية) هو الذى ألحق بهم الهزيمة · إذ قام فوريوس كاميللوس بتنظيم قواته بحيث جعل الفرقة الرومانية فى المركز ووضع السرايا الخفيفة وفصائل الفرسان على الأجنحة · ومن جانب تاكفاريناس فإنه قبل التحدى وأقبل على المواجهة ولكن كانت النتيجة ـ كما يشير تاكيتوس باقتضاب ـ هى هزيمة النوميديين واندحارهم وإشادة الإمبراطور شخصياً وكذلك مجلس السناتو بإنجازات القائد الرومانى المنتصر كاميللوس وتكريمه بشارات النصر [٣].

كان هذا هو ما حدث عام ١٧م· ، ولكن فيما يبدو لم يكن الانتصار الرومانى على تاكفاريناس وحلفائه حاسماً بدليل أن هذا الثائر عاود ـ فى العام التالى ـ هجماته على القوات الرومانية فى ولاية أفريقيا· إذ كانت قوات تاكفاريناس تقوم بهجمات سريعة مباغته لا يمكن التصدى لها ويقومون أحياناً بتدمير القرى الواقعة فى نطاق الحماية الرومانية والحصول على أسلاب ومغانم كبيرة [٤] ، أى أنه تبنى حرب عصابات قوية ضد الرومان بعدما فشل فى المواجهة النظامية الأولى · وفى إطار هذه الهجمات القوية المباغتة قام تاكفاريناس وقواته بتطويق

كتيبة رومانية قرب أحد الأنهار المحلية وعزّ على قائد الكتيبة الرومانية ويُدعى " ديكريوس " أن يحاصره محاربو القبائل وشعر بالإهانة لذلك فأندفع لملاقاة خصومه دون تروى فلقيت قواته هزيمة كبيرة وأخذت تولى الأدبار فراراً من النوميديين ، وحين حاول القائد " ديكريوس " منع جنوده من الهرب تعرض لوابل من سهام الأعداء ولقى حتفه بعد أن اخترقت السهام صدره وإحدى عينيه(٥)٠

هذه الواقعة تدل على الثقة المفرطة بالنفس والتى تصل إلى حد الغرور من جانب القوات الرومانية وقائدها والتى جعلتها تهوّن من شأن القوات النوميدية ولا تأخذ حذرها مما جعلها تلقى هزيمة كبرى ويلقى قائد الكتيبة حتفه ويولى الأدبار من أفلت من القتل من جنده ٠ كما يشير هذا الموقف إلى حسن التنظيم والاستعداد والروح العالية من جانب تاكفاريناس وقواته وتجنبها المعارك النظامية ضد الرومان لتفوق الأخيرين فيها ٠ لكن هذا الموقف المأساوى الذى تعرضت له الكتيبة الرومانية أثار ثائرة الحاكم الرومانى لولاية أفريقيا عن عام ١٨م٠ لوكيوس أبرونيوس ـ وهو البروقنصل الذى خلف كاميللوس ـ فأنزل عقاباً صارماً بالهاربين من هذه الكتيبة وحكم بالإعدام بالقرعة على عُشر الجند الهاربين من خلال جلدهم حتى الموت (٦) ٠ هذا العقاب الصارم ألزم قوات الحاميات الرومانية فى ولاية أفريقيا ـ لبعض الوقت ـ بالتزام أقصى درجات الحذر واليقظة ، والدليل على ذلك أنه بعد الواقعة المذكورة هاجم تاكفاريناس وجنوده حصن " ثالا " فقام جماعة من

المحاربين القدماء الرومان لا يزيد عددهم عن خمسمائة بالتصدى لقوات تاكفاريناس ودحرها (٧) • وكان أحد هؤلاء الجند الرومان ويُدعى "روفوس هيلفيوس " قد أبلى بلاءً حسناً بصورة متميزة فى الدفاع عن الحصن فكرَّمه حاكم الولاية أبرونيوس والإمبراطور تيبريوس نفسه • ورغم ذلك واصلت القوات النوميدية بزعامة تاكفاريناس حرب العصابات والكرّ والفرّ ضد الرومان ، واقترب ذات مرة من الساحل وهو محمل وقواته بالغنائم ومرَّ بالقرب من معسكر رومانى فتعقبه قائد المعسكر الرومانى هو ومن معه من النوميديين المحملين بالغنائم التى أعاقت حركتهم وطاردهم حتى حدود الصحراء مطاردة ناجحة بقواته من الفرسان والقوات المساعدة • ويشير تاكيتوس إلى فعالية وأهمية حرب العصابات التى انتهجها تاكفاريناس وكم أرهقت الرومان وأبطلت فعاليتهم وتلاعبت بهم (٨) •

كانت هذه مواجهات غير فعالة ولم تحسم الأمر بين الرومان وتاكفاريناس وكان زمام المبادرة فيها دوماً فى يد تاكفاريناس وكان الموقف الرومانى دفاعياً ورد فعل لهجمات ومناوشات هذا الثائر وقواته• هذه الهجمات غير النظامية من قبل قوات تاكفاريناس لاشك أنها كانت تلحق أضراراً متفاوتة بالقوات الرومانية ، وقصارى ما كان يفعله الرومان هو ملاحقة القوات المهاجمة حتى تخوم الصحراء حيث تستطيع هذه القوات التوارى عن أعين الرومان فى مجاهل الصحراء التى يعلمها أهلها جيداً ثم يعاودون الكرّة من جديد • وتجددت هجمات القبائل

النوميدية والموريتانية بزعامة تاكفاريناس بعد ذلك ويبدو أنها تصاعدت بصورة خطيرة بدرجة دعت الإمبراطور تيبريوس نفسه إلى إرسال خطاب إلى مجلس السناتو بشأن تعرض ولاية أفريقيا مرة أخرى لهجمات ومضايقات من تاكفاريناس وقواته ، وعلى شيوخ السناتو أن يحزموا أمرهم ويختاروا بروقنصلاً ذا خبرة عسكرية ولياقة جسمانية عالية لشن حملة عليه (٩) ، وسمَّى الإمبراطور مرشحين هما مانيوس ليبيدوس وجونيوس بلايسوس ليختار السناتو أحدهما كبروقنصل لأفريقيا . وكان بلايسوس هو المرشح الأوفر حظاً ـ لأنه خال سيجانوس قائد الحرس البريتورى المقرب من تيبريوس والذى كان له تأثير كبير على الإمبراطور ـ ولذلك عينه السناتو فى هذا المنصب بعد اعتذار المرشح الآخر (١٠) .

عاود تاكفاريناس تجميع قواته من جديد فى قلب ولاية أفريقيا استعداداً لتوجيه ضربات جديدة للرومان ، بل ويبدو أنه وصل باستعداداته إلى درجة عالية من الثقة بالنفس حتى أنه أرسل سفارة إلى الإمبراطور تيبريوس يطالبه من خلالها بتسوية حدودية ووضع رسمى له ولجيشه وهدد الإمبراطور بأن البديل لهذه التسوية هو حرب لا منجاة منها (١١) . وقد استشاط تيبريوس غضباً من هذا التصرف واعتبره وقاحة وإهانة فاقت كل حد وليس لها مثيل من قبل وقال بالحرف الواحد " إن سبارتاكوس نفسه لم يُمنح استسلاماً مشروطاً رغم أنه سحق عدة جيوش قنصلية (على رأسها قناصل) وكانت نيرانه تشتعل فى إيطاليا

دون أن ينال العقاب لأن الجمهورية كانت منهمكة فى صراعات عملاقة مع سيرتوريوس وميثراداتيس ٠ والآن وفى ذروة مجد الأمة الرومانية هل نرضخ لقاطع الطريق هذا المدعو تاكفاريناس من خلال التوصل لسلام معه والتنازل له عن أراضى ! " [١٢] ٠ وأسند الإمبراطور أمر القضاء على تاكفاريناس إلى والى أفريقيا البروقنصل جونيوس بلايسوس٠ وقد حاول هذا الحاكم اللجوء إلى الحيلة والخديعة لمواجهة تاكفاريناس فحاول أن يغرى الثوار من أنصاره ويقعنهم بإغماد سيوفهم دون أن ينالهم أذى وأن يعمل على إلقاء القبض على زعيمهم تاكفاريناس بأى وسيلة كانت ٠ ويذكر تاكيتوس أن الكثيرين (من أنصار تاكفاريناس) قد تراجعوا عن تأييده بمقتضى هذا العفو الذى منحه إياهم الحاكم الرومانى ، وهنا بدأ بلايسوس يحاول محاربة تاكفاريناس بأساليب ووسائل مماثلة لطرقه فى القتال [١٣] .

وقد لاحظ الرومان أن تاكفاريناس لم يكن نداً لهم فى الحروب النظامية ولكنه أكثر منهم خبرة ودراية فى الخدع والحيل القتالية (حرب العصابات) إذ كان يقوم بالهجمات بمجموعات قتالية عديدة سرعان ما تولى الأدبار (بعد أداء مهامها) ويقوم بمناورات وكمائن عديدة ، لذلك رتب القائد الرومانى نفسه لشن ثلاث هجمات متقدمة تنفذها ثلاثة صفوف من الجند [١٤] ٠ وقد جعل على رأس كل مجموعة من المجموعات الثلاثة أحد القادة وتتولى حماية مناطق ولاية أفريقيا من هجمات تاكفاريناس ورجاله : إذ جعل جزءاً من القوات تحت قيادة

كورنيليوس سكبيو (قائد فرقة legatus) يقوم بتأمين وحماية قبائل شرق الولاية فى لبدة وفزّان من هجمات تاكفاريناس ، وجزءاً بقيادة بلايسوس الأصغر لحماية قرى وضواحى مدينة كيرتا فى الغرب من النهب والسلب ، وفى منتصف المسافة أى فى قلب الولاية تمركزت خلاصة وأفضل القوات بقيادة حاكم الولاية نفسه الذى حصّن الأماكن الحيوية بحصون وقلاع وتحصينات بحيث جعل كل مناطق قلب الولاية أماكن خطرة لا يستطيع رجال تاكفاريناس المغامرة بمهاجمتها ٠ وهكذا ضيّق بلايسوس (حاكم الولاية) الخناق على تاكفاريناس ورجاله ولم يترك لهم مساحات خالية فى الولاية يمارسون فيها هجماتهم المتكررة ، فحيثما اتجهوا سيجدون جزءاً من القوات الرومانية فى مواجهتهم ، وهكذا سقط العديد من النوميديين قتلى أو أسرى فى أيدى القوات الرومانية [١٥] ٠ بل لقد قسَّم الوالى الرومانى هذه التقسيمات الثلاثة لجيشه فى الولاية إلى وحدات أصغر تتألف من سرايا يترأس كل منها قائد مائة centurion مشهود له بالكفاءة والشجاعة ، وظلت هذه القوات فى مواقعها على مدار العام ولم يعد يُسمح لها بقضاء فصل الشتاء فى معسكراتها الشتوية فى ولاية أفريقيا القديمة [١٦] (الولاية الأصلية بحدودها القديمة سنة ١٤٦ ق٠م٠ قبل أن يُضم إليها فيما بعد إقليم طرابلس وإقليم نوميديا) كما جرت العادة من قبل ٠ وظلت القوات الرومانية فى الولاية فى حالة التأهب القصوى هذه كما لو كانت على وشك الدخول فى حملة عسكرية وأعدّ قائد الولاية سلسلة قلاعه وجهزها

وبعث بصفوف من رجاله من ذوى الخبرة بالصحارى الإفريقية يرتادون هذه الصحارى ويجوبونها للإيقاع بتاكفاريناس والسعى وراءه من صحراء إلى أخرى ٠ وظل الحال على هذا المنوال إلى أن تمكنت هذه القوات من أسر أخٍ لتاكفاريناس ، وهنا عاد الوالى وترك من يستطيعون مواصلة وإحياء الحرب ضد تاكفاريناس ، ويعتبر تاكيتوس هذه العودة إلى روما متسرعة لم تضع فى الاعتبار مصالح حلفاء روما (١٧) . واعتبر الإمبراطور تيبريوس أن الحرب مع تاكفاريناس قد انتهت عند هذا الحد ، بل وسمح لبلايسوس أن يناديه ويحييه قواده بلقب " إمبراطور" ، وهو لقب كان يهتف به الجيش المنتصر منذ أيام الجمهورية تحيةً لقائده حين يحرز انتصاراً كبيراً ٠ وقد منح الإمبراطور تيبريوس هذا اللقب لقائده حاكم ولاية أفريقيا بلايسوس لآخر مرة (١٨).

واضح مما سبق أن ما فعله البروقنصل بلايسوس حاكم ولاية أفريقيا بتكليف من الإمبراطور تيبريوس لم يكن استراتيجية طويلة الأمد للقضاء على تاكفاريناس بقدر ما كان استعراضاً قوياً للقوة الرومانية ونشرها فى كافة أرجاء الولاية كعامل ردع للثائر النوميدى حتى لا يجرؤ على الإغارة من جديد على مناطق الولاية ، لكنه كان استعراضاً مؤقتاً لم يستمر إذ تراخى بعد فترة من التأهب بعد تكريم الإمبراطور للقائد بلايسوس ٠ ولعل تاكيتوس قد أصاب جزئياً حين ذكر بأن القادة الرومان الذى واجهوا تاكفاريناس حتى ذلك الحين كانوا يكتفون من المواجهة مع هذا الثائر بما يؤهلهم للحصول على التكريم الخاص بالقادة

المنتصرين ، وهكذا تمكن تاكفاريناس من البقاء رغم ملاحقة القادة الرومان له [١٩] ، لكن لعله لم يصب فى تقديره على طول الخط إذ ليس من المنطقى ألا يحاول أحد هؤلاء القادة نيل شرف القضاء على هذا الثائر وتخليص الدولة الرومانية من هجماته وإزعاجه المستمر وبالتالى يحظى هذا القائد بقدر أكبر وأعظم من التكريم والتشريف ، المقصود أن الأمر لم يكن مرتبطاً تماماً برغبة هؤلاء القادة فى القضاء على تاكفاريناس ، فالرغبة لابد أنها كانت موجودة ، ولكن كان الأمر مرتبطاً بقدرة هؤلاء على تحقيق ذلك والتى أثبتت فشلها فى ملاحقة هذا الثائر المناور المراوغ الذى يجيد التخفى والكر والفر وحرب العصابات فى أرجاء بلاده التى يعرفها حق المعرفة ،

نتيجة لكل ما سبق عاود تاكفاريناس تجميع قواته والإغارة على مناطق الرومان فى الولاية وتجمعت له عناصر قوة إضافية شجعته على المُضى فى طريق مكافحة الوجود الرومانى ، هذه العناصر تتمثل فى وقوف ملك الموريتانيين الجديد بطليموس بن جوبا الثانى [*] (الذى حكم

---

[*] كان جوبا الأول ملكاً على نوميديا فى الفترة من ٦٠ إلى ٤٦ ق٠م٠ واشتهر بقسوته ، وكان جوبا الأول حليفاً لبومبى ضد قيصر فى الحرب الأهلية بين الزعيمين فى روما ، وقد هزم حليف قيصر جايوس سكريبونيوس كوريو عام ٤٩ق٠م٠ وقتله ولما انتصر قيصر على الجمهوريين فى أفريقيا فى موقعة ثابسوس سنة ٤٦ ق٠م ، فرّ جوبا الأول وانتحر ، وسيق ابنه الطفل " جوبا الثانى " فى موكب نصر قيصر فى روما سنة ٤٦ ، ومع ذلك تربى " جوبا الثانى " فى روما واشتهر بغزارة علمه وذكر مرارا عند بلينى الأكبر فى كتاب " التاريخ الطبيعى " الذى اقتبس منه كثيرا ، وقد تزوج من كليوباترا ابنة ماركوس أنطونيوس من كليوباترا السابعة ملكة مصر الأخيرة من ملوك البطالمة ، وقد زوجها إياه أغسطس بعد انتحار أنطونيوس وكليوباترا ، وقد تولى جوبا الثانى حكم نوميديا وكذلك حكم مملكة موريتانيا ، ولما ضُمت معظم أجزاء نوميديا إلى ولاية أفريقيا حوالى سنة

موريتانيا من ٢٣ إلى ٤٠ م) الذى سعى ـ حسب قول تاكيتوس ــ إلى تغيير وضع أسرته الحاكمة ــ من خلال الحرب فى صف الثائر النوميدى تاكفاريناس ـ من ملوك وأمراء عتقاء ونظام حكم فيه عبودية لروما (إلى حكم مستقل) ٠ كما يضاف لهذه العناصر أن زعيم قبائل الجرمانتيين (فى فزّان) كان حليفاً للثائر تاكفاريناس فى هجماته على الرومان يمده بقوات خفيفة كبيرة العدد نسبياً بالمقارنة بالمسافة البعيدة التى تفصل بينهما ، كما كان يتسلم ما يحصل عليه تاكفاريناس من غنائم وأسلاب من الرومان ويحتفظ له بها ٠

كما انضم إليه من أهل ولاية أفريقيا نفسها كل المقهورين والمشاكسين ـ حسب تعبير تاكيتوس ـ الذى سارعوا بالانضواء تحت لوائه لاسيما وأن الإمبراطور تيبريوس قد اعتبر أمر تاكفاريناس منتهياً بعد الانتصار المحدود الذى أحرزه بلايسوس عليه وقام بسحب الفرقة الرومانية التاسعة من أفريقيا إلى بانونيا ولم يجرؤ الوالى دولابيلا على الاعتراض على ذلك (٢٠) ٠

هذه الظروف حدثت خلال عامى ٢٣و٢٤ م ٠ ، وفى العام الأخير وصلت إلى مسامع تاكفاريناس أنباء مشجعة مفادها أن أمماً أخرى كانت تعمل على تمزيق الإمبراطورية الرومانية مما دفع الأخيرة

---

٢٥ ق٠م٠ أصبح ملكاً على موريتانيا وحدها ٠ وقد توفى " جوبا الثانى " عام ٢٣م٠ وتولى حكم موريتانيا من بعده ابنه بطلميوس المذكور هنا فى سياق هذا البحث والذى حكم من ٢٣ حتى ٤٠م٠ حيث استدعاه الإمبراطور كاليجولا إلى روما وأعدمه٠

إلى أخلاء أفريقيا تدريجياً من القوات الرومانية (ربما فى إشارة إلى سحب الفرقة التاسعة إلى بانونيا) ، وأنه والحال كذلك يمكن تطويق المتبقين فى الحامية الرومانية فى أفريقيا من خلال هجوم شامل ومتحد يشنه كل من يفضلون الحرية على العبودية من أهل الولاية • وعلى ذلك زوّد تاكفاريناس رصيده من الجند وأقام معسكراً وطوّق بلدة "ثوبوسكوم" (٢١) • وفى المقابل قام الوالى الرومانى لأفريقيا فى ذلك العام باللجوء إلى إجراءات متعددة لمواجهة هذا الموقف الصعب : إذ حشد كل ما لديه من جند واستغل رهبة اسم روما فى النفوس وضعف كفاءة النوميديين فى خوض الحروب النظامية ومعارك الفيالق الرومانية ورفع الحصار عن المدينة المحاصرة من أول هجوم قام به وقام بتحصين كافة المواقع الأستراتيجية (٢٢) •

ومن ناحية أخرى قام دولابيلا بمحاولات لإضعاف التحالف الذى كوّنه تاكفاريناس بأن أعدم قادة وزعماء الموسولاميين (قبيلة تاكفاريناس من النوميديين) الذين كانوا يزمعون التمرد والثورة على الحكم الرومانى • كما أن كثرة المعارك ضد تاكفاريناس قد علّمت الرومان أنه من غير الممكن تعقب مثل هذا العدو المراوغ وتضييق الخناق عليه من خلال هجوم واحد للقوات الثقيلة ، فاستدعى الحاكم الرومانى إليه بطلميوس ملك موريتانيا و (ممثلى) شعبه وأعدّ أربعة أرتال (طوابير طويلة) من الجند أُسندت قيادتها إلى قادة فرق أو ترابنة عسكريين ، كما جُهزت مجموعات من المغيرين يقودها صفوة منتقاة من

الموريتانيين • وكان حاكم الولاية دولابيلا نفسه مشرفاً أو منسقاً بين هؤلاء جميعاً (٢٣) • معنى ذلك أن الحاكم الرومانى حاول أن يجرد تاكفاريناس من قدر كبير من حلفائه ومصدر قوته حتى يضعف من موقفه قبل المواجهة الحاسمة معه ، وخصوصاً أقوى وأشد حلفائه من أبناء شعبه الأقربين (الموسولاميين) فإعدام زعمائهم لاشك أنه أثرّ فيهم إلى حد كبير وأثرّ فى تاكفاريناس ، وكذلك حليفه الجديد المجاور الملك بطلميوس ملك موريتانيا الذى كان ينوى الوقوف إلى جانبه فأثناه القائد الرومانى عن موقفه بالقوة كما هو واضح من سياق الفقرة السابقة عند تاكيتوس •

بعد هذه الإرهاصات والمقدمات لمعركة وشيكة بين الطرفين الرومانى والنوميدى وصلت أخبار إلى الرومان مفادها أن النوميديين قد نصبوا خيامهم قرب قلعة نصف مدمرة فى موقع يُقال له " أوزيا " وكانوا على ثقة بموقعهم الذى كانت تحيط به غابات هائلة (٢٤) • وبناءً على هذه المعلومات انطلقت كتائب المشاة الخفيفة الرومانية وسرايا الفرسان بأقصى سرعتها وهى لا تعلم وجهتها • ومع خيوط الفجر الأولى باغتت القوات الرومانية النوميديين وهم بين اليقظة والمنام بهتافات تصم الآذان وأبواق النفير ، وفى ذلك الوقت كانت خيول النوميديين إما مربوطة أو منطلقة فى المراعى البعيدة • أما على الجانب الرومانى فإن المشاة كانت متراصة ومتكتلة فى حين توزعت سرايا الفرسان واكتملت كافة الاستعدادات للمعركة ، فى حين كان الأعداء ـــ

على النقيض من ذلك ـ لا يدرون بشئ فلا أسلحة ولا نظام ولاخطة ، بل سيقوا إلى الذبح أو الأسر كما تُساق الماشية [٢٥] حسب وصف تاكيتوس . ويصف لنا تاكيتوس الروح الإنتقامية والثأرية التى كان يحارب بها الجنود الرومان ضد النوميديين فى هذا الموقف المفاجئ تماماً للأخيرين ، إذ يذكر أن الجند الرومان كانوا يحاربون وفى ذاكرتهم المصاعب التى واجهوها أمام هذا العدو المراوغ وكيف كانوا يتوقون لمعركة مثل هذه . وصدرت تعليمات إلى فصائل الجند الرومان أن عليهم جميعاً أن يكرسوا كل جهدهم لتعقب تاكفاريناس الذى أصبح معروفاً من كثرة المعارك معه وأن الحرب لن تتوقف أو تهدأ إلا بمقتل ذلك الزعيم . وقد تقطعت السبل بذلك القائد وحراسه وصُفِّد ابنه بالأغلال وتدافع الرومان نحوه (تاكفاريناس) من كل صوب فأندفع هو فى اتجاه السهام وأفلت من الأسر والعبودية لكنه مات (قتل) دون أن يجد من يثأر له ، وهكذا طويت صفحة العداوات وقعقعة السلاح [٢٦].

ـ روما وتاكفاريناس

هكذا كانت قصة تاكفاريناس وكفاحه ضد الاستعمار الرومانى حسب رواية مؤرخ رومانى هو تاكيتوس ، أى أنها كذلك رواية الخصوم عن عدو حارب ضد مصالحهم فى ولاية أفريقيا قرابة عشر سنوات ، ولذلك حاول الرومان التهوين من شأنه وتشويه صورته وتصويره كقاطع طريق يسعى إلى السلب والنهب والغنائم وليس كثائر وطنى أراد أن يزيح عن كاهل وطنه كابوس الاحتلال الرومانى • عموماً ، هذا هو دأب الرومان ـ والمستعمرين عموماً ـ فى التعامل مع الثوار المتمردين على حكمهم • ولئن كان تاكفاريناس لم يوفق فى تحقيق هدفه فحسبه أنه سعى إليه بجد وإخلاص وعزيمة قوية ولكن تفاوت القدرة والقوة بينه وبين " الإمبراطورية الرومانية " القوية حسم الصراع لصالح المستعمر • وحسب تاكفاريناس كذلك أنه لم يكن خصماً سهلاً فى الصراع مع الرومان بل أزعجهم كل الازعاج ، ويكفى للدلالة على ذلك أن الإمبراطور تيبريوس نفسه كان مهتماً اهتماماً كبيراً بأمره وأمر ثورته وكان يرشح القادة والولاة الذين يتولون التعامل معه بنفسه وكان يكرمهم بنفسه حتى وإن أحرزوا انتصارات جزئية غير مؤثرة كما فعل مع الولاة كاميللوس وأبرونيوس وبلايسوس رغم أن معاركهم ضد تاكفاريناس لم تكن حاسمة •

وبالمناسبة فإن الأمر المثير للاستغراب فى هذا المقام هو أن البروقنصل دولابيلا الذى حسم الصراع نهائياً ضد تاكفاريناس وقتله لم

يحظ بتكريم الإمبراطور تيبريوس الذى رفض تكريمه حتى لا يُغضب سيجانوس قائد حرسه الذى سبق لتيبريوس أن كرَّم خاله بلايسوس بعد انتصاره على تاكفاريناس ، وحتى لا يشعر بلايسوس أن الأضواء قد انحسرت عنه [٢٧] . هذا الموقف يوضح إلى أى مدى كان تأثير سيجانوس قوياً على الإمبراطور تيبريوس . ولكن رغم عدم تكريم دولابيلا رسمياً فإنه اكتسب سمعة رفيعة بين الرومان لأنه تمكن ــ بجيش أضعف من جيش بلايسوس ــ أن يحسم الحرب ويصرع تاكفاريناس ويأتى إلى روما بأسرى مرموقين من زعماء القبائل من أعوان تاكفاريناس[٢٨] . هذا الموقف يدل دلالة بالغة على أن الرومان كانوا يدركون مدى أهمية وقوة تاكفاريناس وأن دولابيلا انتصر على خصم صعب المراس أرهق قادة كثيرين ، ولذا استحق التكريم الشعبى والسمعة الطيبة .

ـ تاكفاريناس ويوجورثا

وأخيراً ننوه هنا ببعض أوجه الشبه والاختلاف بين الثائرَين النوميديّين يوجورثا وتاكفاريناس . أما عن أوجه الشبه فإن كليهما قد خدم فى صفوف القوات المساعدة من النوميديين المتحالفة مع الجيوش الرومانية واكتسب خبرة ودراية فى قتال الرومان ثم انقلب عليهم واستفاد من هذه الخبرة فى شن الحرب عليهم . وكلاهما أجاد حرب العصابات والكر والفر والتموية وأرهق عدداً كبيراً من القادة الرومان وألحق بهم خسائر كبيرة جيشاً وراء الآخر ، وتمتع كلاهما بالنفس الطويل

والمراوغة الفائقة فى مواصلة هذه الحرب مستفيدين من درايتهما الفائقة بجغرافية الإقليم . وكلاهما ـ فيما يبدو ـ تعرض لخيانة حلفائه ورفاقه ولا سيما ملوك موريتانيا مما أدى إلى الإيقاع بهما فى أيدى الرومان ومقتلهما غدراً وغيلة : إذ رأينا كيف باع بوخوس ملك موريتانيا حليفه وصهره يوجورثا للقائد الرومانى سوللا ، وفى موضوع تاكفاريناس ـ حسب رواية تاكيتوس ـ ما يوحى بأن حليفه بطليموس ملك موريتانيا قد باعه للرومان كذلك . فقد سبق أن رأينا كيف استدعى البروقنصل دولابيلا ـ قاهر تاكفاريناس ـ الملك بطلميوس وممثلى شعبه وأسند قيادة بعض المجموعات المغيرة إلى صفوة منتقاة من الموريتانيين مما يدل على تواطؤ موريتانى مع الرومان على حساب تاكفاريناس . ومما يؤكد حدوث هذا التواطؤ من قبل الملك بطلميوس نفسه ضد حليفه السابق تاكفاريناس الإشارة الواردة عند تاكيتوس من أن الحرب الحاسمة التى شنها دولابيلا ضد تاكفاريناس قد أثبتت حسن نية بطلميوس تجاه الرومان فبعث السناتو أحد أعضائه لكى يسبغ عليه الإنعام التقليدى لآباء السناتو المتمثل فى صولجان من العاج ورداء ملكى مطرز ويحييه بألقاب الملك والحليف والصديق (٢٩) . إن هذه الإشارة توحى بأن بطلميوس قدم خدمة جليلة للرومان فى حربهم ـ وبالذات موقعتهم الفاصلة الأخيرة ـ ضد تاكفاريناس وأفشى لهم أسراره وموقع قواته مما مكّن الرومان من مباغتة الأخير والإجهاز عليه .

أما عن أوجه الخلاف بين يوجورثا وتاكفاريناس فتكمن في الأساس في أن يوجورثا كان ملكاً لنوميديا وكان له شبكة علاقات واسعة وقوية مع طبقة الساسة والحكام الرومان وكان له نفوذ واسع في أوساط الطبقة الحاكمة الرومانية اقامه بهداياه وعطاياه ودبلوماسيته القديرة ، بالإضافة ـ بطبيعة الحال ـ لقدراته وملكاته العسكرية الهائلة ٠ أما تاكفاريناس فكان ثائراً وزعيماً شعبياً نوميدياً ولم يكن له من مؤهلات يوجورثا سوى قدراته العسكرية البارعة ومناوراته الذكية ، لكن هذه القدرات لا تصمد ـ بطبيعة الحال ـ إذا شقت الصفوف خيانة ـ للأسف ـ في مواجهة قوة نظامية كبيرة كجيش الإمبراطورية الرومانية ٠

هوامش الفصل الثانى

(1) Tacitus, Annales II. 52 :

Eodem anno coeptum in Africa bellum, duce hostium Tacfarinate. Is natione Numida, in castris Romanis auxiliaria stipendia meritus, mox desertor vagos primum et latrociniis suetos ad praedam et raptus congregare, dein more militiae per vexilla et turmas componere, postremo non inconditae turbae sed Musulamiorum dux haberi.

(2) Ibid :

Valida ea gens (i.e. Musulamian) et solitudinibus Africa propinqua, nullo etiam tum urbium cultu, cepit arma Maurosque accolas in bellum traxit : dux et his, Mazippa . Divisusque exercitus ut Tacfarinas lectos viros et Romanorum in medum armatos castris attineret, disciplina et imperiis

compesceret , Mazippa levi cum copia, incendia et caedis et terrorem circumferret. Conpulerantque Cinithios, haud spernendam nationem, in eadem.

(3) Ibid :

Cum Furius Camillus pro consule Africae legionem et quod sub signis sociorum in unum conductos ad hostem duxit, modicam manum, si multitudinem Numidarum atque Maurorm spectares; sed nihil aeque cavebatur quam ne bellum metu eluderent ; spe victoriae inducti sunt ut vincerentur. Igitur legio medio , leves cohortes duaeque alae in cornibus locantur. Nec Tecfarinas pugnam detrectavit. Fusi Numidae, multosque post annos Furio nomini patrum decus militiae.....

Eo (i.e. Camillus) pronior Tiberius res gestas apud senatum celebravit : et

decrevere patres triumphalia insignia, quod Camillo ob modestiam vitae impune fuit.

(4) Ibid. III. 20 :

...... Tacfarinas, quem priore aestate pulsum a Camillo memoravi, bellum in Africa renovat, vagis primum populationibus et ob pernicitatem inultis, dein vicos excindere, trahere gravis praedas.

(5) Ibid :

Postremo haud procul Pagyda flumine cohortem Romanam circumsedit. Praeerat castello Decrius impiger manu, exercitus militia et illam obsidionem flagitii ratus. Is, cohortatus milites, ut copiam pugnae in aperto faceret aciem pro castris instruit. Primoque impetu pulsa cohorte promptus inter tela occursat fugientibus intercepat signiferos quod inconditis aut desertoribus miles Romanus terga daret ; simul excepta vulnera et, quamquqm transfosso oculo,

adversum os in hostem intendit neque proelium omisit donec desertus suis caderet.

(6) Ibid. III . 21 :

Quae postquam L. Apronio (nam Camillo successerat) comperta, magis dedecore suorum quam gloria hostis anxius, raro ea tempestate et e vetere memoria facinore decumum quemque ignominiosae cohortis sorte ductos fusti necat.

(7) Ibid :

Tantumque severitate profectum ut vexillum veteranorum, non amplius quingenti numero, easdem Tafarinatis copias praesidium cui Thala nomen adgressas fuderint.

(8) Ibid :

Sed Tacfarinas perculsis Numidis et obsidia aspernantibus spargit bellum ..... Et dum ea ratio barbaro fuit, inritum fessumque Romanum impune ludificabatur ; postquam

deflexit ad maritimos locos, inligatus praeda stativis castris adhaerebat ...... etc.

لكن تاكفاريناس لجأ إلى حرب العصابات بعدما هبطت معنويات النومديين وسأموا عمليات الحصار ... وطالما استمر هذا البربرى على هذا النحو فقد تلاعب بالرومان غير الأكفاء والمرهقين دون أن يلقى ردعاً . وبعد أن ضل طريقه ذات مرة فى مناطق ساحلية واقترب من المعسكر القائم وقد أعاقته الغنائم عن الحركة ... إلخ .

(9) Ibid., III . 32 :

Neque multo post, missis ad senatum litteris Tiberius motam rursum Africam incursu Tacfarinas docuit iudicioque partrum deligendum pro consule gnarum militiae, corpore validum et bello suffecturum.

(10) Ibid., III 35 :

Proximo sanatus die, Tiberius per litteras, ..., M. Lepidum et Iunium Blaesum nominavit ex quis pro consule Africae legeretur.

...... avunculum esse Seiani Blaesum atque eo praevalidum respondit Blaesus specie recusantis sed neque eadem adseveratione et consensu adulantium adiutus est.

(11) Ibid., III. 79 :

Nam Tacfarinas, quamquam saepius depulsus, reparatis per intima Africae auxiliis huc adrogantiae venerat ut legatos ad Tiberium mitteret sedemque ultro sibi atque exercitui suo postularet aut bellum inexplicabile minitaretur.

(12) Ibid :

Ne Spartaco quidem post tot consularium exercituum cladis inulatam Italiam urenti, quamquam Sertorii atque Mithridatis ingentibus bellis labaret res publica, datum ut pacto in fidem acciperetur nedum pulcherrimo populi Romani fastigio latro

Tacfarinas pace et concessione agrorum redimeretur.

(13) Ibid :

Dat negotium Blaeso : ceteros quidem ad spem proliceret arma sine noxa ponendi, ipsius autem ducis, quoquo modo poteretur. Et recepti ea venia plerique . Mox adversum artes Tacfarinatis, haud dissimili modo belligeratum.

(14) Ibid., III. 74 :

Nam, quia ille robore exercitus impar, furandi melior, pluris per globos incursaret eluderetque et insidias simul temptaret, tres incessus, totidem agmina parantur.

(15) Ibid. :

Ex quis Cornelius Scipio legatus praefuit qua praedatio in Leptitanos et suffugia Garamantum ; alio latere, ne Cirtensium pagi impune traherentur, propriam manum Blaesus filius duxit ; medio cum delectis,

castella et munitiones idoneis locis imponens, dux ipse arta et infensa hostibus cuncta fecerat, quia, quo quo inclinarent, pars aliqua militis Romani in ore , in latere et saepe a tergo erat ; multique eo modo caesi aut circumventi .

(16) Ibid :

Tunc tripertitum exercitum pluris in manus dispergit praeponitque centuriones virtutis expertae. Nec, ut mos fuerat, acta aestate retrahit copias aut in hibernaculis veteris provinciae componit

(17) Ibid :

Sed aut in limine belli dispositis castellis per expeditos et solitudinum gnaros mutantem mapalia Tacfarinatem proturbabat, donec fratre eius capto regressus est , properantius tamen quam ex utilitate sociourm, relictis per quos resurgeret bellum.

(18) Ibid :

Sed Tiberius pro confecto interpretatus id quoque Blaeso tribuit ut imperator a legionibus salutaretur ..... Concessit quibusdam et Augustus id vocabulum ac tunc Tiberius Blaeso postremum.

(19) Ibid., IV. 23 :

Nam priores duces, ubi impetrando triumphalium insigni sufficere res suas crediderant, hostem omittebant ; iamque tres laureatae in urbe statuae, et adhuc raptabat Africam Tacfarinas.

(تماثيل القادة المنتصرين الثلاثة المنوه عنهم فى هذا الهامش هم فوريوس كاميللوس ولوكيوس أبرونيوس وجونيوس بلايسوس الذين سبقت الإشارة إليهم) ٠

(20) Ibid :

auctus Maurorum auxiliis , qui Ptolemaeo Iubae filio iuventa incurioso, libertos regios et servilia imperia bello mutaverant. Erat illi

praedarum receptor ac socius populandi rex Garamantum , non ut exercitu incederet, sed missis levibus copiis, quae ex longinquo in maius audiebantur ; ipsaque e provincia, ut quis fortuna inops, moribus turbidus, promptius ruebant, quia Caesar post res a Blaeso gestas, quasi nullis iam in Africa hostibus, reportari nonam legionem iusserat, nec pro consule eius anni P. Dolabella retinere ausus erat, iussa principis magis quam incerta belli metuens.

(21) Ibid., IV. 24 :

Igitur Tacfarinas disperso rumore rem Romanam aliis quoque ab nationibus lacerari eoque paulatim Africa decedere, ac posse reliquos circumvenire, si cuncti, quibus libertas servitio potior, incubuissent, auget viris positis que castris Thubuscum oppidum circumsidet.

(22) Ibid. :

At Dolabella contracto quod erat militum, terrore nominis Romani et quia Numidae peditum aciem ferre nequeunt, primo sui incessu solvit obsidium locorumque opportuna permunivit ;

(23) Ibid . :

Simul principes Musulamiorum defectionem coeptantes securi percutit . Dein quia pluribus adversum Tacfarinatem expeditionibus cognitum, non gravi nec uno incursu consectandum hostem vagum, excito cum popularibus rege Ptolemaeo quattuor agmina parat, quae legatis aut tribunes data ; et praedatorias manus delecti Maurorum duxere : ipse consultor aderat omnibus.

(24) Ibid ., IV . 25 :

Nec multo post adfertur Nomidas apud castellum semirutum, ab ipsis quondam

incensum, cui nomen Auzea , positis mapalibus consedisse, fisos loco, quia vastis circum saltibus claudebatur.

(25) Ibid . :

Tum expeditae cohortes alaeque, quam in partem ducerentur ignarae, cito agmine rapiuntur. Simulque coeptus dies et concentu tubarum ac truci clamore aderant semisomnos in barbaros, praepeditis Numidarum equis aut diversos pastus pererrantibus, Ab Romanis confertus pedes, dispositae turmae cuncta proelio provisa : hostibus contra omnium nesciis non arma, non ordo, non consilium, sed pecorum modo trahi, occidi, capi.

(26) Ibid. :

Infensus miles memoria laborum et adversum eludentis optatae totiens pugnae se quisque ultione et sanguine explebant. Differtur per manipulos , Tacfarinatem

omnes, notum tot proeliis, consectentur non nisi duce interfecto requiem belli fore. At ille deiectis circum stipatoribus, vinctoque iam filio et effusis undique Romanis, reundo in tela captivitatem haud inulta morte effugit isque finis armis impositus.

(27) Ibid., IV. 26 :

Dolabellae petenti abnuit triumphalia Tiberius, Seiano tribuens, ne Blaesi avunculi, eius laus obsolesceret.

(28) Ibid. :

Sed neque Blaesus ideo inlustrior, et huic negatus honor gloriam intendit : quippe minore exercitu insignis captivos, caede ducis belloque confecti famam deportat...... etc.

(29) Ibid . :

Cognitis dehinc Ptolemaei per id bellum studiis repititus ex vetusto more honos missusque e senatoribus, qui scipionem eburnum, togam pictam, antiqua patrum munera, daret regemque et socium atque amicum appellaret.

المحتويات

صورة الغلاف

الواجهة والردهة الأمامية لمقر القيادة البريتورى فى مدينة لامبايسيس (الواقعة إلى الشمال قليلاً من تمجاد) ، وهو المقر الذى ظل على مدى قرون المامية الرئيسية للفرقة الثالثة الأغسطية .


مطابع رويال
صاحبها ومديرها محمد بسيوني
خلف ش فرنسا ☎ ٤٨٠٩٠٠٥ الاسكندرية